عاشق المرحومة

وقصص أخرى من التراث العربي



حققها وقدّم لها

محمد مصطفى الجاروش

منشورات الجمل

عاشق المرحومة وقصص أخرى من التراث العربي

عاشق المرحومة

وقصص أخرى من التراث العربي

حققها وقدّم لها

محمد مصطفى الجاروش

منشورات الجمل

محمد مصطفى الجاروش، باحث برازيلي من أصول عربية، من مواليد سنة ١٩٦٣. مدرس اللغة العربية وآدابها في جامعة ساو باولو بالبرازيل، حيث تخرج ونال شهادة الدكتوراه في الأدب البرازيلي. نقل إلى البرتغالية بعض الأعمال التراثية العربية، منها كتاب ألف ليلة وليلة، وهي ترجمة تمت عن المخطوطات الأصلية. نال العديد من الجوائز.

عاشق المرحومة وقصص أخرى من التراث العربي، الطبعة الأولى
حققها وقدّم لها: محمد مصطفى الجاروش
Établissement du texte, introduction et notes:
Mamede Mustafa Jarouche

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

كلمة وجيزة

لامتناهية هي روايات العالم، كما يعلّمنا رولان بارت. والقول هذا ينطبق كمّاً ونوعاً على سَردِيّات الثقافة العربية، فالمخزون الحِكائي في تراثنا، الشعبي وغير الشعبي، يكاد لا يُحصى. ومهما تقلّب الباحث، وأينما وجّه نظره، فلا بُدّ أن يجد جديداً، في عالمٍ لم يُكتشف بأكمله بعدُ. وليس المقصود هنا جانب الأصالة في هذا التراث فحسب، علماً بأن لمفهوم الأصالة إشكاليته اللامتناهية منذ القدم، لأن التعدد موجودٌ حتى ضمنَ الرواية الواحدة، التي تتشعّب رواياتٍ متنوعةً لفظاً وتركيباً. وما زال أكثر المخطوطات العربية، المشتملة على حكايات يُعَدُّ بعضها شعبياً محضاً والبعض الآخر شعبياً من جهة الصيغة، غافياً في خزائن العالم ومكتباته، لم تُنشر ولم تحظ من العناية بما تستحق. فحتى الكتب المعتبرة «كلاسيكية»، وفي مقدّمها على سبيل المثال كتابا «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة»، لم تجد للآن من يقوم بتحقيقها تحقيقاً على قدر أهميتهما، فما بالك بالمخطوطات التي تحتوي على قصص وحكايات لم تنل نصيبها من الشهرة بعد؟

يتكوّن المخطوط الفريد المحقّق متنُه لاحقاً من ١٢ حكاية أغلبيتها أصيلة، بمعنى أن ليس لها مثيل في ما نُشر وحُقّق من التراث الحكائي العربي. وللمستشرق يوسف سدان فضل المبادرة في الموضوع، فهو الباحث الأول - والوحيد على حدّ علمنا - الذي اعتنى به وحقق إحدى حكاياته وهي «حكاية السكندري الخيّاط مع تنكز»،[١] التي رأى فيها صلة قرابة بينها وبين «حكاية علاء الدين والمصباح السحري»، مما قد يثبت الأصالة العربية لهذه الأخيرة، التي طالما شُكّك في متنها العربي المتأخّر فعلاً عن النص الفرنساوي الموجود في ترجمة جالان الشهيرة والعائدة إلى اوائل القرن الثامن عشر الميلادي.[٢] وخدمة الدكتور سدان للنص هي خدمة فائقة متميّزة، كلّف نفسه

(١) وقد تفضل مشكوراً الدكتور علي حسين، من جامعة حيفا، بإرساله لنا صورة من هذا المقال الذي يصعب الحصول عليه حالياً.

(٢) لفت انتباهنا مقال سدان، وبالتالي هذا المخطوط الذي يتحدث عنه، أثناء ترجمتنا لكتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغة البرتغالية، عندما كنا عاكفين على النص العربي لعلاء الدين والمصباح السحري، خلال البحث عن الأصالة العربية لتلك القصة التي متنها العربي، كما لا يخفى على الملمين بالموضوع، متأخر جداً وتعتريه الشكوك بالنسبة إلى كيفية إنتاجه. وقد قطع محسن مهدي، وهو من أكبر الخبراء في تاريخ ألف ليلة وليلة، الرأى بأن المتن العربي تُرجم من النص الفرنساوي لأنطوان غالان. ولكنّ لقضية الأصالة أوجهاً أخرى لا يمكن أن تُختزل في كيفية إنتاج المتن العربي المشكوك فيه وفي صحته، فهنالك، على سبيل المثال، قضية المخيلة العربية التي توجد عناصر لها، بشكل مشتّت، في حكاية علاء الدين. فحتى وإن كان نص علاء الدين غير عربي فإن أغلبية عناصر المخيلة فيه هي عربية.

بها عناء البحث ومشاقّه، موضحاً كلَّ كبيرة وصغيرة، وفيّاً للمتن كما هو في مصدره، مهتمّاً بكل المواضع والأماكن المذكورة في الحكاية، وكذلك بالوظائف والشخصيات، فلولا اعتناؤه لَما عرفنا، على سبيل المثال لا الحصر، أن الشخصية المذكورة في العنوان هي شخصية تاريخية معروفةباسم سيف الدين تنكز والي الشام من قبل المماليك، لأن اسمه محرّف في النص إلى «دنكز» و«دنكر». وكان من بالغ وفاء الدكتور سدان للنص أنه لم يضع فيه تصحيحاً، مهما كان ضئيلاً، إلا ونبّه إليه. فحتى علامات الترقيم، التي يخلو منها المتن تماماً، لم يضع واحدة إلا وهي بين عضادتين مما أثقل النص المطبوع، وكان يكفيه أن يشير إلى أن كل علامات الترقيم من وضعه، لأن المخطوط خالٍ منها تماماً.

وبقراءة مقال الدكتور سدان تشوّقنا إلى معرفة المخطوط معرفة كاملة، وعندما تسلّمناه من المكتبة الأهلية الفرنسية تأكدنا من أهميته ومن جودة الحكايات التي يحويها، فقرّرنا تحقيقه - ولا سيّما أن المقال سالف الذكر يعود إلى سنة ١٩٩٩، أي أنه مرّت تقريباً ١٥ سنة من دون أن يتابع الدكتور سدان أو أي باحث آخر العملَ بالمخطوط، مما حسبناه تخلياً عنه، فهممنا بالتحقيق بعد إضاءة الإشارة الخضراء من طرف صديقنا الشاعر خالد المعالي صاحب منشورات الجمل.

لحكايات مخطوطنا هذا جوانب عديدة قد يتمكن القارئ من الدخول إلى عِوالمها من خلالها. ولسنا نقصد بعوالمها البيئةَ الجغرافية/ التاريخية التي تتجول فيها الشخصيات، فالفضاء من

اليمن إلى العراق مروراً بمصر والشام، والزمن من عهد بني أُميّة إلى المماليك، مروراً بالرشيد والأمين والمأمون، يشكّلان بيئة واقعية (والواقعية الأدبية في أغلب الأحيان بؤس وابتذال وتفاهة)، بل نقصد عوالم أخرى بالغة الأهمية في أي عمل أدبي، وهي عوالم المخيّلة وما يترتّب عليها. ونريد هنا أن نلفت إلى دور المرأة في أغلب الحكايات، حيث تُصوَّر على أنها غرضٌ للشهوة الذكورية وتُوَظَّفُ توظيفاً رمزياً للدلالة على السلطة، وكأنها نوعٌ من البديل لها، بمعنى أن الاستيلاء عليها يرمز إلى الاستيلاء على السلطة، وعلى ذلك ليس من قبيل المصادفة أن تكون للنساء المرغوب فيهن علاقات بأصحاب السلطة. ومع ذلك فالشخصيات النسائية في حكاية اختفاء الوزير الفضل ابن الربيع يلعبن دوراً أكثر طرافة وظرافة، ويتصفن بالرحمة والتسامح والرأفة، على عكس الرجال الذين يلعبون أدوار الخيانة والكذب وعدم الوفاء. وهذا ليس من باب المصادفة أيضاً، لأن لهذه الحكاية مصدراً «تاريخياً» معروفاً هو كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاضي البغدادي المحسن التنوخي، وبمقارنة النصين - «الأصل التاريخي» و«الفرع الخرافة» - يتبيّن أن الراوي الذي استخرج القصة من مصدرها التاريخي ووضعها في سياقها الجديد قد تصرّف فيها لكي تتناسب أحداثها والوظيفة الجديدة التي يبتغيها منها. ودور النساء في هذه الحكاية يشبه، من الناحية الشكلية، أو من حيث النجاعة إن شاء القارئ، دور شهرزاد البطلة الروائية في ألف ليلة وليلة.

وصف المخطوط:

تحتفظ المكتبة الأهلية الفرنسية بهذا المخطوط، وهو متكوّن من مئة ورقة وتسع أوراق، تمّ تجليدها ووضع أرقامها في أوروبا، وقد التبس الأمر شيئاً ما على من قام بهذا العمل فكرّر رقم الورقة ٣٢. وتشغل الحكايات التي نحن بصددها الـ ٧٨ ورقة الأولى، ففي وجه الورقة ٧٩ (أي الصفحة ٧٩و) يبدأ متن كتاب آخر هو «لوعة الشاكي ودمعة الباكي»، للأديب الشامي المملوكي صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي، المتوفي سنة ٧٦٤ هـ، والذي طبع في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٥١ هـ. أما مجموعة حكاياتنا فهي تحتلّ جزءَ المخطوطِ الأولَ والمستقلَّ، وتشغل كما أسلفنا الصفحات ما بين ١ظ (يعني ظهر الورقة الأولى) و٧٨ظ (يعني ظهر الورقة ٧٨). ولم يُذكر في المخطوط لا اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، غير أن فهرس المكتبة الفرنسية يقدّر أنه نُسخ في القرن الثامن عشر الميلادي، مع أن الدكتور يوسف سدان يرجّح تاريخاً آخر ويرى أنه قد يكون نُسخ في القرن السابع عشر أو السادس عشر الميلاديين. ومما لا شك فيه أن الحكايات أقدم بكثير من النسخ، وأن المجموعة ككل - وجمعها هو كذلك نوع من الإبداع - تعود إلى فترة الحكم المملوكي في بلاد الشام (وقد تهيّأ لنا أنه يوجد شبهٌ ما بين أسلوبه وأسلوب أقدم مخطوط لألف ليلة وليلة، الذي يعود نسخه إلى القرن الخامس عشر الميلادي).

في وجه الصفحة الأولى أبيات شعر تمدح العلم والعلماء، مما هو مألوف جداً في عُرف المخطوطات، وضربٌ على بعض

التمليكات (وفي الورقة الأخيرة يقرأ، بالمقلوب، «ملك الفقير إلى الله تعا[لى]. . .» ثم شطب)، وهو أمر معهود حتى أيامنا هذه. وكُتب في أعلى الصفحة "arabe 3658"، وهو الرقم الذي يعرف به الآن، وفي وسطها "Suppl. ar. nº. 1807". ومن اختلاف الخطوط بين هذه الورقة وبقية الأوراق تهيّأ لنا أنها أُدرجت بدلاً من الورقة الأصلية التي قد تكون سقطت، على جاري العادة في المخطوطات. وخطه غاية في المقروئية لا لبس فيه إلا في النادر.

عملنا في التحقيق:

لم نكن نروم، بدايةً، ما يُسمى في مصطلح المتخصصين الفيلولوجيين بـ edition diplomatique (حرفياً، الطبعة أو النشرة «الدبلوماسية») للمخطوط، وهي، كمفهوم، تساوي ما يعتبر بالعربية نسخة طبق الأصل للمخطوط. وهذا الإجراء، الذي كان مهماً في الماضي لأن الاطّلاع على الأصول كان عسيراً وفي غالب الأحيان مستحيلاً، عفيَّ عليه كلٌّ من الزمن والوسائل الحديثة للاستنساخ والتصوير - ليس بالنسبة للمخطوطات فقط بل بالنسبة لكل شيء تقريباً في الحياة المعاصرة. وبالتوسع غير المحدود لهذه الوسائل بطلتْ مهمة «النشرة الدبلوماسية» للمخطوط، لأنه أصبح في مستطاع من يرغب الرجوع إلى الأصول إن شاء، ومن مهمات المحقق اليوم تقديم قراءته الخاصة للمخطوط الذي يعتني به. أما المهمة الأخرى لهذا النوع من العمل الفيلولوجي، وهي تيسير قراءة أشكال من الخط لم تعد

معهودةً لدى جمهور قرّاء اللغة، فإنها بالنسبة للعربية، أو على الأقل بالنسبة لما نحن بصدده، غير لازمة لأن خطه واضح جداً وفي غاية المقروئية، في ما عدا بعض الفقرات والكلمات لا غير.

أمّا المتن فمن الجلّي أن الناسخ يخطئ كلَّ الخطأ في حركات الإعراب. من ذلك مثلاً علامة النصب للنكرة، فهو يحذفها طوراً أو يضع علامة الرفع مكانها أطواراً، ويفعل مثلها كثيراً في حالة الجرّ، مجرورةً كانت الكلمة أو الكلمات بحرف الجرّ أو بالإضافة، فنجد مكانَ الكسرة أو الكسرتين الضمة أو الضمتين. وكذلك يبدو أنه يجهل أو يتجاهل قاعدة حال الفعل إذا تقدمه الفاعل، وهناك أيضا أخطاء إملائية وكلمات وعبارات عامية وقد ارتأينا عدم «تصحيح» أي شيء من هذه الاخطاء، بل بالعكس قررنا إبقاءها كما هي، لانها تعكس مستويات مختلفة من استعمال اللغة (كالإهمال الذي يبدو مطلقا للمثنى وللجمع المؤنت ولـ«أنْ» المصدرية التي تقع بعد الفعل الماضي وقبل المضارع) والمحاولات لخلق شكل خاص من الرسم لـ«أدبية» هذا النوع من السرد الفني. ولم ننبه إلى مثل هذه الأخطاء إلا عند إمكانية الالتباس، ففي الملحوظات نبْهنا القارئ إلى ما رأيناه مهماً. وما بين العضادتين وضعنا ما اعتبرنا أنه سقط سهواً خلال النسخ. أما بخصوص التشكيل فلم نضع في المتن المحقق كل علامات التشكيل الموجودة في المخطوط، ولكن أردنا عند الاحتفاظ ببعضها - خطأ كان هذا التشكيل أو صواباً - أن تمثل، لدى القارئ، نموذجاً لكيفية استعمالها، بحيث تتضح طريقة كتابة الناسخ ومدى فهمه لما ينسخه.

أما كتابة همزة القطع فتحتاج إلى شرح خاص، وذلك لأن كتابتها لم تكن مستقرة على قاعدة لدى الناسخ، مما حملنا على تعديلها. فقد يكتب الناسخ في أحيان عدّة المدّة مكان الهمزة، أو فوق الألف عند ما يجب أن تقع بعدها. وقد اخترنا إثبات الهمزة كلّما تهيّأ لنا أن هذا ما أراد له الناسخ. وأخيرا نشير إلى أن كل علامات الترقيم هي من وضعنا ولأن المتن خالٍ منها تماماً، كما أسلفنا.

محمد مصطفى الجاروش

جامعة ساو باولو، البرازيل، خريف ٢٠١٣

(*) بالرغم من كل ما قيل، فإننا مدركون أن عملية نشر المخطوطات القديمة هي، في حد ذاتها، عملية تعسّفية ونوع من التعنيف تجاه المخطوط، لأنه، وبمنتهى البساطة، لم يُنسخ ليُنشر، بمعنى أن النشر لم يكن ضمن آفاق إمكانيات التلقي له. لم يستشرف، لا الناسخ ولا زمانه، هذه العملية المعقّدة التي هي النشر، الذي يقتضي، من جملة ما يقتضيه، وجود تقنية خاصة لم تكن معروفة ولا متوقعة، ناهيك عن بعض الظروف الاجتماعية غير المتوفرة حينها، كوجود سوق (بما يفترضه من توزيع الخ) وجمهور واسع من القرّاء. لن ندخل بالتفصيل في هذا المجال الوعر، لأن الكتب والمقالات التي تتناول الموضوع لا يمكن إحصاؤها لكثرتها المدهشة، والنقاش وصل إلى درجة من التعقد لا تسمح بسرعة التحدث عنه أو بإعطاء الآراء المستعجلة حوله، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الفعل في مثل هذه الحالة؟ إذا كان الأمر كذلك، ألم تكن مناقضة، إذن، عملية نشر المخطوط؟ والجواب الوحيد هو أن تحدياً للكمين المنصوب دوماً من قبل المفارقة التاريخية المنتصرة، فإن النشر اليوم يفرض نفسه لأسباب مختلفة كلياً عن أسباب إنتاجه «الأصلية»، وهي أن على الأجيال الحديثة إعادة تقييم ما يسمّى بالتراث.

٤٦	٥٢	٤٤		٤٧	٤٣	٤٥
٤٩	٤٨	٥٠	.	٤٦	٣٤١	٤١
٥١	٤٣	٤١		٤٢	٣٤	٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حكى والله اعلم في غيبه

والحكم فيما مضى وتقدم وسلف من احاديث

الامم السابقة رحمهم الله

انه

اللهم لا اله الا الله ولا بالله كيبكبح احبس العنه عن هذا الكتاب

حسن

انه كان في مدينة زبيد باليمن رجل تاجر وكان بالقرب

منه تاجر اخر من اكابر التجار وله بنت جميلة مليحه

فرآها ذلك التاجر فهويها وتولع بحبها وزاد به الامر

فارسل الى ابيها يخطبها فابى فحمل عليه كل من في ذلك

البلد فلم يفعل ثم دخل على امير البلد وارماه عليه فلم يفعل

ذلك وكلما زاد فيها رغبة زاد ابوها فيه قسوة ففي بعض

الايام اذ سمع ذلك الرجل صياح عظيم وصراخ شديد

فسأل عن ذلك فقيل له ماتت بنت التاجر من التجار

فحزن عليها ذلك الرجل حزنا عظيما ومضى يمشي في جنازتها

فغسلوها وكفنوها وحملوها ومضوا الى التربة ليدفنوها

فلما انزلوها القبر كادت روحه تفارق جسده وعاد

منقلب الفؤاد ناقص العقل وكان في بيته مكان ينظرها

منه كل يوم فلما دخل بيته وراى ذلك المكان كاد عقله

فلما جا الليل تذكرها وزاد به الوجد والغرام وشدة الشوق

يا جمال نا ولني هذا الفلس الذي وقع بني فتناولها والله

يا سيدي ما انظر الا دينارا فقالت الحمد لله الذي

عوضني بذلك الفلس دينارا فلما وصلوا الى دار

عبد الملك ابن مروان خليفة الله تلقوها العبيد والخدام

وطلعوا بها الى اعلا القصر فامر عبد الملك باحضار

السماط فحضر الى من كان جالسا وكان الحجاج من الذين

يلون امير المؤمنين فتناول الحجاج قطعة لحم واكل منها

وناولها الى امير المؤمنين فاغتم غما شديدا وهم

ان يضرب عنقه وقال له بلغ من تذكرك ان تعطيني

سؤرك فقال له الحجاج وما هو الذي انبئك به في الهودج

الاسوري ثم انشد الحجاج يقول

وما هندا لا مورداً قد وردته ولا خير في الوراد ان وردوا بعدي

فقالت عبد الملك لا خير فينا ان وردنا بعدك

يا حجاج فامر لها امير المؤمنين بوزن صداقها

ورجوعها من حيث جاءت فكانت مكيدة الحجاج بها

اعظم من مكيدة نهاية فالله تعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب فانه كريم
وهاب وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم
والحمد لله
وحده

(١ظ)[1] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

[حكاية التاجر اليمني مع معشوقته التي ماتت موت الفجأة]

حكي والله اعلم في غيبه واحكم فيما مضى وسلف من احاديث الامم السابقة، رحمهم الله، (٢و)[2] انه كان فِي مدينة

---

(١) ما كُتب في هذه الورقة خطه مختلف عن خط بقية المخطوط، مما عسى أن يدل على أن الورقة الأولى الأصلية، التي شملت الصفحتين ١و/١ظ الأصليتين، قد فُقدت فاستعاض عنها أحد مالكي المخطوط بالورقة الموجودة الآن، وقد تكون الورقة المفقودة حوت عنوان المخطوط، أو على الأقل عنوان حكايته الأولى. في ص ١و، في طرفها الأيمن الأعلى، شطب مكثّف لما يُظن أنه تمليكات عدة، وجملة «الحج محمد» ما زالت مقروءة. وفي طرفها الأيسر بعض الأبيات، بخط مختلف تماماً، في مدح العلم والعلماء. وفي وسطها رقمها القديم في المكتبة الأهلية الفرنسية: "Suppl. ar. n°. 1807". وفي أعلى ص ١ظ، قبل بداية المتن مباشرة، رسمٌ لما يشبه قبة وضمن الرسم بعض النقوش والأرقام التي لم نتنبه لما تعنيه.

(٢) في أعلى هذه الصفحة، بخط مختلف كأنه تجربة قلم: «[ا]للهم لا الا الاوكـ يا الـلـه كبيكج احتشي الفنه عن هذا الكتاب»، ثم رسم نجمتين ثم «حـــــــن» أو «حسن». و«كبيكج» في اعتقاد النساخ هي كلمة سحرية تحمي المخطوط من أذى الأرضة والتآكل.

زبيد[1] باليَمَن رجل تاجر وكان بالقرب مِنْهُ تاجر آخر مِنْ اكابر التجار وله بنت جميلة مَلِيحة فَرَآهَا ذلك التاجر فهويها وتولع بحبها وزاد به الأَمْر فارْسَل إلى ابيها يخطبها فأبى، فحمل عليه كل مَنْ في ذلك البَلَد فلم يفعل، فدخل على أمير البلد وارماه عليه فلم يفعل ذلك، وكلما زاد فِيها رغبة زاد أبوها فِيه قسْوَة. ففي بَعْضِ الأَيام اذ سَمِعَ ذلك الرجل صياح عظيم وصراخ شديد فَسَأَل عن ذلك فقيل له: «ماتت بنت التاجر موت الفجأه»، فحزن عَلَيْهَا ذلك الرجل حزنا عظيما ومضى يمشي في جنازتها، فغسلوها وكفنُوهَا وحملوها ومضوا الى التربة ليدفنوها. فلما أنزلُوهَا القبر كادت روحه تفارق جسده، وعاد مَسْلُوب الفواد ناقص العَقْل. وكان في بيته مكان ينظرها منه كل يَوْم، فلما دخل بيته ورأى ذلك المكان كَادَ عَقْلُه يَزُول. فلما جاء الليل تذكرها وزاد به الوَجْد والغرام وشدة الشوق. (٢ظ) فنهض من وقته وَمَضَى الى القَبْر ففتحه واخرجها ورد التراب كما كان وحمل الصبية عَلَى ظهره وَجَاءَ بِهَا الى منزله وشال عنها الكفن وغسلها ونظفها وطيبها والبَسَهَا أفخر الثياب والقماش وزينها باحْسَن الزينَة وَأَجْلَسَهَا عَلَى المرتبَة واسندها بالمَخَدات فبقيت كالبَدْر في تمامه

---

(١) مدينة ساحلية في غرب اليمن معروفة. يقول ياقوت الحموي في معجمه: «اسم وادٍ به مدينة يقال لها الحُصَيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أُحدثت أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب، وهو علم مرتجل لهذا الموضع؛ ينسب إليها جمع كثير من العلماء...» («معجم البلدان»، طبعة بيروت، الجزء الثالث، ص ١٣١).

وعلق اربع تريات قناديل واوقدها وأَشْعَل الشمع ووضع له مكان
وقعد يشرب الشراب ويشاهدها ويعانقها ويقبلها، فبينما هو في
الذ أمره وَشأنه واذا بالباب يطرق فتغيَّر في نفسه وقال: «مَا اظنهم
علموا اني اخرجتها مِنَ القَبْر. كيف العمل؟». ثم مَضَى الى
الباب قليل قليل لينظر مَنْ به وإذا هُوَ بصاحِبٍ له حكيم وكان له
مدة مُسَافر في عَدَن عند سُلطانها وكان حاذق عارف. فلما رآه
حار في أمره وقال: «أخاف يراها وافتضح مَعَهُ!»، ثم انه ابقاهَا
عَلَى ما هِيَ عليه ولم يعلم صاحبه بذلك. ثم انه فرش في خارج
المحل وانزله فِيه وكان من عادته انه لا ينزله إلا داخل المنزل[1]
ويكرمه إكراما زايداً (٣و) لما بينهم من قديم العشرة والاطلاع
عَلَى أسرار بَعْضهم بعضا. فلما رأى الحكيم صاحبه أجلسه
خارج المنزل وما كان من عادته مَعَه فعجب[2] مِنْهُ، ويعلم انه
عزب وَمَا عنده احد يخبيه منه، فسكت ولم يساله عَنْ شي. ثم
انَّ صَاحِب المنزل صار في كل ساعة يدخل داخل المنزل ويقف
لحظة ويخرج. فقال له الحكيم: «عندك احد؟». قال: «لا».
وَمَا كان يخفِي مِنْهُ شي في السابق. فلما رآه ما يستقر له قرار قال
الحكيم: «لا شك انه عنده احد يخفِيه مِنِّي ولو لا انها من نسا
أصحابنا ما أخفاها مني وَمَا ذاك عادته مَعِي». فصبر الحكيم عليه
حتى قام وَرَجع جلس قدام الحكيم فنهض الحكيم وهجم على
البيت فرأى القناديل والشمع وحضرة مليحة وصبية قاعدة مثل

---

(١) وقبل هذا: «المحل»، مشطوب.

(٢) ولعلها «تَعَجَّبَ».

البَذر والمكان يرهج مِنْ ضَوْءِ وجهها وَعَلَيْهَا الحلي و الحلل وروايح المِسْك والعَنْبر والند والعُود والشند[1] والغالية والطيب، والمكان يذهل العُقول. فقال الحكيم: «وَالله ان صاحبنا مَعْذُورُ إذا أخفى هَذَا الأَمر عني وهذه الصبية، لانها من اولاد (٣ظ) الاكابر». وَجَا يمسكها يلعب معها فكلمها فلم تكلمه فَسَحَبَهَا إلى عِنْدِه، [فـ]ـوقعت منه ولم يعلم أَصْل القِصَّة. فلما رَآهَا على ذلكَ الحال جَسَّ يدها وعروقها كلها فراى فِيهَا عرق يضرب وضربُهُ خَفِي، فظن انها مَا جرى لَهَا ذلك إلا مِنْهُ لانه عَارض يُسَمَّى السكتة يَحْدُث مِنَ الخوف والفزع والبَرْد. فلما رَأى ذلك اخرج الريشة وفصدها وقرَّبَ إليها اناً يَنْزِلُ فيه الدَّم حتى اخذ حَدَّهُ وَرَبَطَ الفصَاده واسقاها سكر وَخَرَجَ إِلَى صاحبه فراه سكران بغير مُدَام، مفكر بما جرى وَلَم يَعْلَم ما فَعَل الحَكِيم. ثم ان الشاب قام عَلى جرِي عادته فلما وَصَل الى عندها واراد ان يقبلها غَطَّتْ وجهها مِنْهُ. خاف وخرج هاربا وقعد. ثم قام ودخل اليها فَرَآهَا تنظره بعُيُونها فتقدم وبهت في وجهها. قالت لَه: «يا هذا! مَا خبرك الليله؟ انت طالِبُ الفضِيحَة؟ ما تَسْتَحِي؟». ثم رَجَعَ مذهولا طاير العَقْل ووقف عند الحكيم ثم رجع إِلَيْهَا فصاحت عليه وقالت له: «انت شيطان مَارِدٌ؟ اعُوذ بالله مِنْك!»، وَقَامَتْ وَرَاه. فلما رآها (٤و) قامت وَجَرَت وَرَاءَه فخرج وهو يجري وقد تغَـــــيَّر لَوْنُه وَهُوَ يَرْتَعِد. فخاف الحكيم ان تكون ماتت

---

(١) لم أجد معنىً لهذه الكلمة بين ما توفّر لديّ من المراجع، وقد تكون غلطة من الناسخ.

فقال الحكيم: «وَمَا جرى الليلة وانت خارج داخل؟ فقد رابني امرك، وَمَا عادتي منك ان تخفي مِنّي شي! ولو علمت ان وُصُولي إليك في هذه الليلة يشوش عليْكَ، ما جئْتُ اليك!».
فَقَال: «يا سيدي ما خَبَّيْت[1] عنك شي، غير اني عملت عَمَلْ المجانين وما قدرت أعلمك به! ولو أعلمتك به مِنْ اول كنت تكفرني وَالْآن ظهر الأَمر». قَالَ: «وَمَا هُوَ؟». قال: «انت تعرف مَحَبَّتي لفلانة بنت فلان؟». قال: «نعم، انها أَمْس ماتت ودفنوها». قال: «نعم، فضاقت عَلَيَّ الارض بما رحبتْ، وصرت كالمجنون وهَمَمْتُ بقتل نَفْسي، فلَمَّا جاء اللَّيْل رُحْتُ الى التُّرْبَة واخرجتها وجئت بها الى بيتي وغسلتها والبستها واجلستها واشعلت الشموع والتريات وجلست اتملأ بجمالها وإذا انت قد أتيت فما قدرت ان ادرك واجلستك في الخارج وصرت ادخل كل ساعة لانظرها فلما كان هذا الوقت رأيتها بالحياة وهي تتكلم وتمشي وما عرفت (٤ظ) هذا الأمر ولو لا انت، خرجتُ من عقلي! قل لي: ما هذا؟ أ بعد الموت والقبر حياة؟». فقال: «أحسنت يا نباش القبور ويا عثاث[2] الموتى، ولكن المدبر دبر وهو اللطيف الخبير! اعلم انيّ لما رأيتك على تلك الحالة والدخول والخروج فتخيلت منك لأني رأيت من شأنك شيءً عمري ما رأيته، فغافلتك ودخلت الى داخل المنزل فلما رأيتها حسبتها طيبه فجئت اليها وسحبتها فوقعت مَيِّتَة فجسيتها فرأيت

---

(١) في المخطوط: «خَبَّيْتَ»، بالفتحة على تاء الفاعل.
(٢) في المخطوط: «عشات». وقد تكون الكلمة «عَتَّات».

لها عارضٌ اعرفه ففصدتها حتى خرج منها دم مِقدار الذي اريده وربطت الفصاده وسقيتها سُكر وخرجت وانا مثل المجنون، ولو عرفت انها مثل ما قلت ما مسستها قبل! ظننت انها ماتت مِنِّي ولكن لها أَجَل وقد كان ذلك على يديك! فقم بنا إليها ونعلمها بما اتفق». فدخلوا عليها واخبروها بالواقع فقالت: «أين انا ومن تكونوا انتم؟ بالله اعلموني فإن هذا ما هو بيتنا، وانتم داخلين خارجين!». فقال لها [الحكيم]: « يا جارية، اعلمي انك كنتِ مُتِّ وقبروك اهلك وراحوا وخلوك وهذا (٥و) الرجل تعلمي انه قتيل هواك وهو لك عاشق. فلما جرى لك ذلك كاد يقتل نفسه ثم حمله هواه ان أخرجك من القبر وجابك الى بيته والى موضعه وغسَّلَكِ وطيبك وألبسك هذا الحلي والحلل الذي عليك وهذا قطنك وكفنك. وانا حكيم هذا الملك وكنت غايب من مُدَّةٍ طويلة، فوافق قدُومي هذه الليلة لعمرك، فدخلت وانا أَحْسِبُك بالحياة فسحبتكي فوقعت ميتة فظننت انه مني ففصدتك، فلما انزل الدَّم نهضتي وَقُمْتِي والحمد لله الذي أحياك بعد الموت وأشكري فضل هذا الشاب». ثم قدَّموا لها الأكل والشرب فأكلت وشربت ونَيَّمُوها وأغلقوا عليها الباب وناموا إلى الصباح، وجاؤوا الناس الى صُبْحَتِهَا. فجاء الرجل مع الناس فلما فرغوا من القراءة سلم الحكيم على ابي الجارية وصبر حتى انصرف الناس من التربة فتقدَّم الحكيم إلى والدها وقال له: «إن فلان جارك من أُصَلاء الناس وأنت تعرفه، فما كان واجب عليك ترده!». قال: «يا حكيم، هذا الذي (٥ظ) قد كان!». قال له: «زوجه بِهَا!». قال: «انت عاقل ام مجنون؟ هذا قبرها!». قال له

الحكيم: «بالله عليك، لو عاشت هذا الوقت هل كنت تزوِّجه بها؟». قال: «إي والله كنت ازوجه بها!». فقال الحكيم: «لأجلي زوِّجْهُ بها!». قال: «نادوا القاضي!»، وكان القاضي حاضر في التربة مِنْ جملة مَنْ حضر. قال القاضي: «ما تقول؟». قال: «اشهدوا يا جميع من حضر اني زوَّجت بنتي زينب للزيني فلان الحاضر!». فَزَوَّجَهُمْ القاضي وحكم بموجبِ النكاح، فقال الحكيم لأبي الجارية: «امشي مَعَنا، فَلَنا بك حاجة»، فمشى مَعَهُم إلى ان وصلوا الى باب الدار ودخل معهم ابي الجارية، فلما جلس قال له الحكيم على الصورة التي وقعت من الاول الى الاخر، وانه لا يلام على ذلك، فدخل على ابنته فرآها بالحياة ففرح بها وقال: «إنّا لله وإنّا اليه راجعون! كانت راحت غلط!». ثم انه راح الى امها واخوتها واعلمهم بما وقع فجاؤوا وفَرِحُوا وحملوا عرسها بعد عزاها، ودخل بها، وقعدوا في اطيب عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومُفرق الجماعات (٦و) وماتوا، رحمة الله عليهم وعلى جميع المسلمين. امين.

حكاية اختفا ابراهيم ابن المهدي والفضل ابن الربيع وما وقع لهم من المحن[1]

حكي انه لما قُتل الأمين ودخل المأمون بغداد لم يبق احد من الأعيان الا لقي المأمون وسأله العفو والتجاوز عنه. قال: «قد عفوت عن كل من في بغداد الا رجلين احداهما ابراهيم بن

---

(١) لن يخفى على القارئ أن الحكاية ستقتصر على ما وقع للفضل ابن الربيع دون غيره، ولعل القسم المتعلق بإبراهيم ابن المهدي قد سقط. والفضل ابن الربيع هو أبو العباس الفضل ابن الربيع ابن يونس. ولد سنة ١٣٨ هـ. خدم الخلفاء العباسيين الأوائل واستوزره الرشيد. عُرف بالـ«عباسي» لانتمائه (أو تملقه) إلى هذه السلالة. كان عدواً لدوداً للبرامكة، وتسبب في قتلهم. دس الدسائس بين المأمون وأخيه محمد الأمين، مما ساعد على إشعال نيران العداوة بين الأخوين ومن ثم الحرب الأهلية. توفي مهملاً بطوس في سنة ٢٠٨ هـ، بعد أن أعفى عنه المأمون. وإبراهيم ابن المهدي، الذي نُرجّح أن خبر محنه سقط عن هذه الحكاية، فإنه كذلك أعفى عنه المأمون رغم الخيانة التي اقترفها تجاهه بتنصيبه خليفةً بعد خلع الأمين. كان شاعراً وفناناً أكثر منه رجل دولة. توفي سنة ٢٢٤ هـ. ومحمد الأمين (١٧٠-١٩٨ هـ)، الخليفة العباسي السادس، ابن هارون الرشيد وزبيدة، قتل إثر الحرب بينه وبين أخيه عبد الله المأمون (١٧٠-٢١٨ هـ)، الذي تولى الخلافة بعده. كان ابن هارون الرشيد مع جارية فارسية. اهتم بالأدب والفلسلفة وعلم الكلام. شجّع ترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية وأسّس بيت الحكمة.

المهدي والثاني الفضل ابن الربيع وزير الأمين»، لانه هو زَيَّن للامين ما وقع في حقه وعداوته وأمَّا عمه لما قتل أخيه وثب على الخلافة. فلما بلغهما مقالته[1] اختفيا واحترزوا على انفسهم واخذ كل واحد منهما في جهةٍ يَأْمَنُ فيها على نفسه. فلما دخل المأمون بغداد واستراح من سفره وجلس ينظر في أمور الناس أمر أن يطلبهما ويبحث عنهما، فلم يجد لهما خبرٌ ولم يبق في مدينة بغداد مكان الا فتشوه عليهما فما وجدوا لهما خبر. فاغتم المأمون غما شديدا وامر بضرب الحرس الذي على الجسر من الجانبين (٦ظ) الغربي والشرقي ونادى في الجانبين انه «من وجدهما - من رجل وامرأة - ولم يخبر بهما فقد برئت منه الذمة ونقض العهد من يو مهم»[2]، ولم يزالوا الحرس عليهم شهر كامل وكل يوم يرهب الناس ويخوِّفهم ويحرض على وجودهم: «وكل من احضر واحد منهم فله الف دينار وعشر قطع ثياب واقطاع ويقضي له عشر حوايج». وبعد هذا لم يظهر لواحد [منهما] خبر، فكثر تعجب المأمون لذلك، ولم يزدهما الا خفية. فأما الفضل ابن الربيع فاعلم بذلك وانه مطلوب، كان اختفاؤه في دار امرأة عجوز من جيرانه لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها لخمود ذكرها وشدة نكرها، وكان معه امراته وأُمُّه وكان له بنتين اختفيا معه. فلم يزل يختفي سنة كاملة، فلما كان في بعض

---

(١) الكلمة على الهامش وهي فيه «مقالتهما»، فصححناها. ولعل المقصود هو «مقالته فيهما». ولاحظ فيما بعد الانتقال من صيغة المثنى إلى صيغة الجمع.

(٢) والعبارة هي «مَنْ يَؤُمُّهُمـ[ـا]».

الليالي قلق وسهر من همه وغمه وكيف يكون خلاصه، إذ سمع احد بناته تقول للاخرى وهم يظنّون انه نايم: «اختي، أ ترينا نخلص من هذا السجن الشديد؟»، فقالت لها الأخرى: «ما لنا خلاص الا ان مات أبونا واراحنا الله منه»، فأجابتهم امّهم وقالت: «هيهات هيهات من ان يموت من عمره طويل!». فلما سَمِعَ الفضل ذلك قال: (٧و) «قد بلغ من امري ان صاروا اهلي وبناتي يتمنون موتي!». ثم قال: «والله لاخرجن غداً عنهم»، وسكت. فلما طلع الفجر قام من وقته واخذ ثيابَهُ لبسها ودار براسه طيلسان وخرج وهم لا يشعرون. وكان بالجهة الشرقية فقصد الجسر من الجهة الغربية لان المقراة[1] في وسط بغداد وهي من الجانبين واراد ان يرمي نفسه على الحسن ابن سهل[2] او غيره من اصحاب المأمون يستجير به. فلما توسّط الجسر مع الناس اذ رمق اليه رجلٌ بزاز[3] كان يحمل اليه الثياب الفاخرة الى الخزانة لما كان وزيراً، وكان الفضل قد أحسن اليه بمال جزيل وكان فقيراً فاغناه. فلما رآه عرفه فارْمى نفسه عليه فَعَرَفَهُ الفضل فظنـ[ـه] يريد مكافأتَه، فقال له: «ما ينبغي يا عدو الله وعدو امير المومنين! والله لا افارقك حتى اوصلك الى المأمون لاخذ الجزا مِنْهُ، فإنه جعل لمن جاء بك ألف دينار!». فقال له: «اتق الله في

(١) وهي «الـمَـقْـرَأَة». وقد تقرأ «القرا[ء]ة».
(٢) وزير المأمون، الذي لقّبه «ذا الكفايتين» وتزوج ببنته بوران، وهو خبر اشتهر وأُقحم حتى في كتاب «ألف ليلة وليلة». توفي سنة ٢٣٦ هـ.
(٣) يتردّد رسم المخطوط بين «بزاز» و«بزار»، فأثبتنا الأولى. والبَزَّاز هو تاجر الأقمشة.

دمي وارحم صِبية خَلْفي واذكر انعامي وفضلي عليك!»، (٧ظ) فلم يسمع كلامه بل صاح: «يا معشر الناس! هذا مطلوب امير المؤمنين وعدوه!»، فاجتمعوا الناس اليه وكان البزاز في كمه دراهم كثيرة فانجذب الفضل منه فانتثرت الدراهم من كُمِّهِ في وسط الجسر فانكبَّ الناس عليها يلتقطونها واشتغل هو ايضاً - يعني البزاز - بجمع الدراهم ونجا [الفضل] فدخل في زقاق فرآه ما ينفذ ورأى جارية تكنس وستها تكلمها من داخل الباب فخاف ووقف بين يديها وقال: «يا ستي، أنا مستجير!». قالت: «وما دهاك؟». قال: «لي عدو يريد هلاكي». فلما رأت المرأة زيه وشكله قالت: «ادخل، فقد اجرتك»، واذا بدار مليحة، فارادت تَسْأَله عن امره وحاله اذ رأت زوجها داخل[1] من راس الزقاق. قالت: «اصْعَد الى هنا»، فصعد الفضل راقيا[2] فانتهى الى بيتٍ فيه حوايج وهو مفروش مطل على الدار. قال الفضل: «فنمت على ظهري بعد الاختفا وايست من الحياة». فلما دخل زوجها ارمى بنفسه على الارض ولطم وَجْهَهُ. قالت له زوجته: «ما الذي اصابك؟». قال والفضل (٨و) يسمع كلامه: «ويلك، واي مصيبة اعظم ممّا اصابني اليوم؟ تلف مالي وراح من كُمِّي وانفلت من يدي الفضل! آه لو قدرت عليه اخذت من المأمون الف دينار وعشر ثياب واقطاع وقضى لي عشر حوايج». فعرفت الزوجة ان الذي عندها الفضل ابن الربيع، وعلم الفضل انها زوجة البزاز،

---

(١) وبعد هذا، مشطوب عليه، «الباب».

(٢) و«الراقي» هنا هو «المرقى»، أي «السلّم»، كما يوضّح دوزي في الجزء الثاني من قاموسه (ص ٥٥٠).

فَعَظُم عليه وايس من الحياة وقال: «ساقني القضا والقَدَر الى هلاكي». فقالت زوجة البزاز: «وكيف ذلك يا ابن عَمِّي؟». قال: «اعلمي ان المأمون هدر دم مَنْ وجد عنده الفضل ابن الربيع وابراهيم ابن المهدي، وجعل لمن يأْتي بواحد منهما الف دينار وعشر قطع قماش[1] واقطاع ويقضي له عشر حوايج وقد ظفرت بالفضل على الجسر هذه الساعة وانفلت مني وتبدد من كُمِّي دراهم كثيرة وهي التي كانت سبباً لنجاته، واردت ان ادفع الناس عن الدراهم فهَرَبَ مِنِّي».

قال الراوي

فقالت له زوجته: «يا ابن عَمِّي، لقد اسأت فيما فعلت، وما جازيت الفضل باحسانه اليك وانعامه عليك، (٨ظ) فان جميع ما تراه العُيُون في دارك من انعام الفضل، ولقد كنت اجرته حين استجارك واستغاث بك ان تُغِثْهُ!». فَلَمَّا سَمِعَ كَلاَمَها خَجِلَ واستحا، فلم يرد جَوَاب وَخَرَج. فلما علمت أَنَّهُ [لم] يَعُدَ صعدت الى الفضل وانكبَّتْ على يديه ورجليه تقلبهم وقالت: «يا سيدي الآنَ صَحَّ عندي مَنْ انت، فالحمد لله الذي نجاك من يد هذا الكافر لنعمتك الجاحد لإحسانك واني لا امن عليك من ان يرجع فيظهر على أمرك، فانج بنفسك سالما وارجع الى المكان الذي كنت فيه. والله يسترك بفضله». فخرج الفضل من عندها وهو متفكر في امرها وكرمها ولومها لزوجها وقال في نفسه: «ان مَنَّ الله علي بالخلاص كافيتها»، ومشى في خفية من ان يعرفه

---

(١) جملة «قطع قماش» على الهامش.

احد كمعرفة البزاز، ولم يزل سايرا يريد الرجوع الى مكانه الذي خرج منه وقد حميت عليه الشمس وعطش عطشاً شديداً منعه من الحركة. فتقدم الى باب دار حسنه فرأى خادم جالس في الدهليز فقال الفضل: «هذه من دور بعض (٩و) الرؤَسَا»، فطلب من الخادم ماءً فنظر الخادم الى هَيْئَتِهِ وحُسْن منظره وطيب رايحته. استحيا الخادم ان يسقيه من كوزه الذي يشرب منه فدخل الى مولاته وقال: «يا مولاتي، ان رجل بهيّ المنظر طلب مني ماءً ليشرب فاستحييت ان اسقيه من كوزي». قالت: «خذ كوز مولاك اسقه منه وحُط له فيه ثلج وَمَاوَرْد».[1] فاخذ [الفضل] الكوز وشرب وغسل بالباقي يده ووجهه ورجليه واستراح وردَّت إليه روحه فنعس، فقال له الخادم: «تنام يا مولاي؟». قال: «نعم»، وقال الفضل في نفسه: «يغتنم الوقت الى ان يجي وقت الغروب، فلعل اذا خرجت لا يعرفني أحد وأرجع الى مكاني»، فأخذه الخادم ونيَّمه في مرقده ورجع الى مولاته وقال: «يا مولاتي، ان الرجل طلب النوم فنيَّمته في مرقدي». قالت: «والله كانه خايف، فاذا جاء مولاك من عند المأمون اعلمه وخليه ينظر في أمره، فان كان ممن يعرفه يكرمه، وان كان ما يعرفه يشفع له ويُحْسِن اليه». فما كان غير ساعة جاءَ (٩ظ) زوج المرأة فاعلمته بحال الرَّجُل وسَأَلَتْهُ في أمره فقال: «والله ان كُنْتُ اعرفه وجب حقه عَلَيْنَا، وان كُنْتُ ما اعرفه اكرمه وعملت معه ما يصلح حاله»، ثم خرج حتى يعرف من هو ولم يضع سلاحه مِنَ

---

(١) وبعد هذا كلمة مطموس عليها.

العَجَلَة، فجاءه فرآه نايماً وَكُمَّهُ على وجهه فشال الحاجب كُمه فعرفه أنه الفضل، وكان بينهم عداوة شديدة، وكان الفضل في زمن الأمين أراد قتل الحاجب. فلما عرفه الحاجب قال: «الحمد لله!»، وسجد شكرا لله ثم سَلَّ سيفه ونَبَّهَهُ، فلما استيقظ قال له: «يا فضل، وقعت في يدي! تذكر ما فعلت معي؟ اليوم اخر عمرك»، فعلم الفضل انه وقع في الهلاك فقال: «ها أنا في دارك وفي جوارك»، فقال له الحاجب: «هيهات يا فضل! أ نَسِيْتَ ما فعلتَ معي واردتَ قتلي ونهب مالي وصَيَّرْتَني الى خُرَاسَان؟». قال: «قد كان ما كان وانا اليوم في دارك وفي أسْرِك. افعل ما أنت أهله». فقال: «لا ابقاني الله إن أبقيتك!»، وشال يده واراد ان يضربه بالسيف. (١٠و) وكانت المراة - لما خرج زوجها ولم يضع سلاحه - تبعته لتنظر ما يفعل، فلما رأت ما رات وسمعت ما سمعت، وعرفت انه الفضل ابن الربيع وانه عدو زوجها، وانه ما يُبقيه، ارْمَت رَوْحَهَا على الفضل وقالت: «هذا في جواري وقد دخل بيتي ولا يُصيبُه الا ما أصابني وما تَصِلُ اليه الا ما قَتَلْتَني قبله!». فقال لها: «هذا الفضل ابن الربيع الذي فعل معنا ما فعل ونهب بيتي واراد قتلي! هذا اكبر الاعدا! خلِّيني اقتله!». قالت: «والله ما تصل اليه وما تفعل معه مكروهاً الا أن قتلتني قبله!»، وألقت نفسها عليه واخذت في يدها سِكّيناً وقالت: «والله إن لم تتركه والا قتلت نفسي!»، وبكت. وكان الحاجب يحبها فقال لها: «خَفِ الله في نفسك! هذا عدوي وعدوك!». قالت: «أَجَرْته وما بقي كلام»، فقال زوجها: «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم! تخلّصي عدوي منّي؟». قالت: «قد

فعلت!». قال: «قد وهبته لك»، فقالت له زوجته: «روح اشلح سلاحك»، فدخل ليشلح سِلاَحه. غلقت عليها الباب (١٠ظ) وبكت وبكا الفضل. قالت له: «كيف تدخل دار عدوك وأنت فَعَلْتَ معه ما فعلت؟». قال: «ما علمت، فلو لا فضلك قتلني، فجزاك الله عني خيراً وعن اصلك». قالت له: «ما امن عليك منه إن أقمت عندي، فان قلبه ملآن عليك عداوة، وان خرجت ما امن عليك ان يعرفك احد من أعدايك، فقم وانظر لنفسك موضع تأمن فيه عليها»، ثم انها قلعت ما كان عليها من ذهب ولؤلؤ ومعادن وحُجول[1] وخواتم وحلق، وقالت له: «خذ هذا تستعين به عَلَى وَقْتِكَ وادفع بهم عنك من يُعارضك اذا عرفك، فان البرطيل يخلص صاحبه»، فأبى ان يفعل ذلك فغلبته وقالت: «انا اعرف ان هذا عندك قليل، واخاف أن تحتاج إليه، فخذه وامضِ في خفظ الله». فأخذ ذلك وخرج وهو لا يصدق بالنجاة، وما زال ماشي حتى وصل الدجلة واراد العبور الى الجانب الذي كان فيه، فوقف ينظر مِضْمارية[2] يُعَدِّي فيها، فما رأى في الشط شيء (١١و) وهو مستعجل خايف على نفسه، فابْصَر مَلاَّحاً

---

(١) والحجول هي عبارة عن خواتم فضة تضعها المرأة في خنصري رجليها. راجـــع دوزي، Supplément aux Dictionnaires Arabes، ١٨٨١، الجزء الأول، ص ٢٥٤.

(٢) لا ذكر لهذه المفردة في المعاجم. وقد تدلّ على نوع من المراكب فيه غطاء يستطيع الراكب من خلاله أن يستتر من الناس. وفيما بعد، من الواضح أن «الكور»، في هذا السياق، ليس إلا نوعاً من الغطاء مستعملاً في المراكب.

فأشار اليه فخرج عليه الملاح وحمله في شَخْتُورِهِ وارخى عليه الكُور وقال: «أين تريد يا سيدي؟»، فقال الفضل: «اخر بغداد»، وقصد موضعا بعيداً لخوفه من حاشية المأمون ان يراه أحد منهم. ثم ان الملاّح جاء به الى تحت قصر المأمون ثم قال للفضل: «انظر اين انت»، وكشف عنه الغطا، فلما راى الفضل دار الخلافة أيقن بالموت وقال للملاح: «أَ لَمْ اقل لك؟ ما الذي[1] جاء بك الى هذا المكان؟». فقال الملاح: «أ تظن يا فضل اني ما اعرفك واني من حين اختفيت اطالب بِسَبَبِكَ؟ وقد وقع ما اردته يا فضل! وانا فقير واهل عيال واولاد، وقد جعل امير المومنين لمن جاء بك الف دينار وعشر ثياب واقطاع وتقضى له عشر حوايج. وقد وَصَلْتُ بك الى هذا المكان لاصيح صيحة: 'يا مأمون، هذا الفضل ابن الربيع!' وانظر، هذا المأمون جالس في الرُّواق، وهذه ارباب دولته. فانظر يا فضل ما تعطيني وتنجو[2]، (١١ظ) او اصيح واخذ منه ما وعد به». فعلم الفضل انه مقتول لا محالة، فوثب الى الملاح وقَبَّل رَأْسه ويديه ورجليه و[هو] يقول: «يا سيدي، اتق الله في دمي وارحمني وارحم أولادي»، فقال: «لا تُطيل، هذا شيء لا يكون. اما ان تعطيني أو آخُذَ منه». فعند ذلك حل منديله واعطاه مصاغ امراة الحاجب وقال: «يا سيدي، هذا حَلال، والله ما املك شيئاً غيره»، ثم قال المَلاّح: «والله يا فَضْل، هَذَا غُلْبٌ عظيم»، وتَبَسَّم وقال: «أَتْرُكْ

---

(١) في المخطوط: «مالذي».

(٢) في المخطوط: «تَنْجُوا» بألف الجماعة. وتتكرر فيه مثل هذه الأغلاط.

أَلْفَ دينار وعشر ثياب واقطاع وقضا عشر حوايج واخذ حُلي يساوي خمسماية دينار؟». فقال الفضل: «قد صدقت فيما قُلْتَ،[1] ولو امكنني غير هذا لفديت نفسي منك. فاتَّق الله فيَّ!»، وبكى الفضل. فلما رآه الملاح يبكي قال: «يا فضل، لا تفزع ولا تبكي، وما فعلت معك هذا الاَّ حتَّى تعرف، وإن كنت مَلاَّحاً فِي [. . .][2] لمُكَافاتٍ، وان لك عندي جميلا كبيراً وهبت لي نفسي وخلصتني من القتل وانت وزير للأَمين، وأنا (١٢و) فُلان الملاح». وذلك انه كان ملاح الأمين ووقع منه ذنب يوجب فيه قتله، فشفع فيه الفضل. ثم قال الملاح: «والله لا اخذ مِنْكَ شيا من هذا المصاغ واني لأرجو[3] الله ان يرد عليك نعمتك وجاهك، وأنا لا أخلو من بِرِّك». فقال له الفضل: «خذ هذا الحُلي، فانه لا يضرُّني اخذك اياهُ، وسُدْ به مسدّاً من فَقْرِكَ»، فابا اخذه ثم رد الكور على السفينة وهو لا يصدق، وأضمر في نفسه وقال: «إنْ منَّ الله عليَّ اغنيت الملاح». [. . .][4] ثم سار على رعبٍ وخوفٍ من أن يَعْرِفَهُ احد وقال: «والله لقد حل بي في يومي هذا من [. . . .][5] أَقَلُّه ما يشيِّبُ الطِّفْل الرضيع». فبينما

---

(١) وضع الناسخ فتحة وضمة على تاء الفاعل في «قلت»، كأنه لم يحسم الأمر بين «قلتُ» و«قلتَ». والصيغتان واردتان.

(٢) إسقاط واضح في المتن.

(٣) في المخطوط: «لأرجوا».

(٤) إسقاط واضح في المتن.

(٥) كلمة غير مقروءة، لعلها تحريف «الأعاجيب»، التي ترد فيما بعد لوصف ما حلّ بالوزير في ذلك اليوم.

هو ساير يحدث نَفْسَه اذ لَقِيَهُ غلام له من عبيده، كان رَبَّاهُ صغيراً مثل وَلَدِهِ، عنده عزيز، وكان في ايام وزارته صاحب دواته. فلما رآه رما روحه عليه وهمَّ ان يبكي، فمنَعَهُ وانس به الفضل وقال له: «اسكت، لا تفضحني، ويحك! هل من مَوْضِعٍ؟». قال: «نعم»، فأخذه الى بيتٍ قريبٍ ودق ففتح ودخل، فرأى جارية من جواره[1] كان زوّجها بالعبد فعرفَتْهُ فانكبَّتْ على رجليه تقبلها، فأَمِنَ الفَضْلُ (١٢ظ) وفرح وقال: «اختفي عندهم بقيَّة يومي الى الظلام واروح إلى أهلي». ثم انه قال مُدِلاً بعد ان سكن روعه: «أنا جَيْعان، هل عندكم شي يوكل؟ واعلموا يا اولادي اني قاسيت اليوم أُمور تفتت الكبود وسلمت من الموت مراراً والحمد لله الذي رأيتكم وخلصت مما كنت فيه، وما امِنْتُ على نفسي الا عندكم ولما امِنْتُ حَسَسْتُ بالجوع، فوالله من البارحة الى هذا الوقت لم ذُقْتُ طعم الزاد». فقال الغُلام: «يا سيدي، اخرج الى السوق وآتيك بما يصلح». ثم اخذ الزِّبديَّة والمكية[2] وخرج مسرعاً، فلما خرج قال: «هل بقي طمعٌ في خير هذا الرجل؟ والله لأمضي الى المامُون وادله عليه واخذ ما وعد به من الالف

---

(١) استقرّ لدى الناسخ، في المخطوط كله، جمع «الجارية» على «الجوار» وليس «الجواري». وبما أن الكلمة ما زالت مفهومة رغم الغلطة، فلم نصحّحها.

(٢) في قاموس دوزي (ج ٢، ص ٦١٤) أن المكية نوع من المراكب البحرية، ربما لنقل الحجّاج، وهذا شرح في طبيعة الحال لا يصلح للسياق هنا، الذي يستدل منه أنها، أي المكية، وعاء لوضع الأكل أو المشروب. وبما أن هذه المفردة جاءت مقترنة بالزبدية، فيغلب على الظن أنها للمشروب لا للمأكول. وقد يكون جذرها «م ك ك» أو «م ك و».

دينار وغيرها»، ثم حط الزبدية وغَطَّاها في دكان شخص من أهل السوق وتوجه الى الدجلة وركب في شختور وقصد دار المأمون وصاح باعلى صوته: «نصيحة يا أمير المؤمنين!»، فَسَمِعَ المأمون فأمر باحضاره. فَلَمَّا راه قال: «ما نصيحتك؟». قال: «الفضل ابن الربيع عندي وَهُوَ مَطْلُوب أَمِير المؤمنين». (١٣و) فلما سَمِعَ المأمون كلامه كان مُتَّكِئاً فجلس وقال: «هُوَ مِن اين هُوَ عِنْدَكَ؟ وما مَنَعَكَ يا غُلام ان تعلمنا به في هذه المُدَّة الطويلة؟». فقال: «يا امير المومنين، ما كنت اعرف له مكان، واما اليوم قد جِئْتُهُ الى منزلي وقد جيتك مُتَنَصِّحاً». فقال له المأمون: «وانت من اين تعرفه؟»، فقال: «انا عبده وهو رباني صغير وكُنْتُ اقرب عبيده عِنْدَهُ واكرمهم عليه». فقال المأمون: «بئس العبد انت! والله انت ولد زنا، فعليك لعنة الله! ولقد ربا الفضل عدوًّا مُّبِيناً».[١] ثم التفت المأمون الى احمد ابن خالد[٢] وقال: «يا أحمد، رايت الفضل في أَيَّامه؟ هذا غلامه؟». قال: «نعم يا امير المومنين. كان هذا اكرم عبيده عنده»، وكان احمد من صُدَقَآءِ الفضل. فقال المأمون: «انظر الى الدهر يا أحمد!»، فقال: «صدقت امير المومنين، وَيَجِبُ أَنْ يُرْحَم من كان هذه صفته»، فقال المأمون: «ان احَبَّ الأشيا اليّ نظر الفضل لأقتله، بُغْضاً له ومقتا لما صَدَر مِنْه مِنَ الفِعَال القبيحَة، ومَا كان سَبَبُ عَدَاوَتي أَنَا

---

(١) لاحظ كيف تيمّن الناسخ بالرسم القرآني (سورة الإسراء، الآية ٥٣).

(٢) مولى استوزره المأمون بعد اعتزال الحسن بن سهل، وأُكره على الوزارة لأنه لم يكن يريدها. توفي سنة ٢١١ هـ.

وَأَخِي (١٣ظ) سِوَاهُ، وَوَالله إني رحمته حين سعى به هذا العبد، مع علمك بمكانه عليه وقُرْبِهِ منه وكرمه عليه، واقرَّ من نفسه بذلك. أُشْهِدُكَ عَلَيَّ يا احمد يا ابن خالد اني قد عفوت عنه ورددت عليه نعمته وامنته على نفسه وهو في امان الله واماني وأمان الرشيد». فشكر أحمد مقاله ثم قال: «يا امير المومنين، هذا هو المأمول من فضلك وفضل ابايك الراشدين»، ثم ان المأمون استدعى محمد ابن صالح حاجبه ودفع إليه خاتم الخلافة من يده وقال: «سر مع هذا العبد الى منزله واياك ان يفوتك، وائتني بالفضل ابن الربيع واعلمه اني قد امنته وَعَفَوْتُ عنه وهو في امان الله وأماني وامان الرشيد، وادفع له الخاتم واسرع به».

قال الراوي

فسار محمد ابن صالح مع العبد الى منزله وسار معه من الجند والخدم اكثر من ألف. هذا والفضل مستأنس وقد نزع عمامته واثوابه واتته الجارية بمآ توضّأَ به وقام يُصَلِّي ما فاته في يومه مِنَ الصلاة وقد اخلص نيته مع الله (١٤و) وساله ان ينجِّيهِ من غضب المأمون، فما فرغ من صلاته إذ سمع وقع حوافر الخيل وحِسّ الفرسان، فتامل من طاقة هُنَاك فنظر عبده اقبل ووراه الحاجب ومَنْ مَعَهُ، فلم يشك ان العَبْد نَمَّ عليه وقد أَتَوْا في طَلَبِهِ، فترك عمامته واثوابه وفرَّ طالب النجاة، فقالت له الجارية: «يا مولاي، أُنْجُ بِنَفْسِك فان العبد السوء قد نَمَّ عليك! اصْعَدْ الى السطح وَارْمِ بنفسك إلى بعض دوِر الجيران»، فلم يعلم من اين يهرب فصعد السطح وقال: «لَعَلِّي استجير باحدٍ مِنَ الجيران»، فَأَرْمَى نفسه الى بعض الدُّور واذا بها دار عجوز قد

حفر الدمع في خدها لطول بكايها وهي جالسه على قبرٍ في الدار تبكي وتنوح. فلما رَأَتْهُ نزل اليها من السطح مرتاباً وثبت اليه وقالـ[ـت]: «من انت، يرحمك الله؟». قال: «مُسْتَجِيراً بِاللهِ ثم بكي مِنْ عَدُوٍّ يُرِيد قَتْلي، فَأَجيريني». فَلَمَّا سَمِعَت قوله رحمته ورأت الى زَيِّهِ وَحُسْن لفظه قالت: «اجرتك ولو كنت الفضل ابن الربيع قاتل وَلَدِي (١٤ظ) صاحب هَذَا القَبْر!». فلما سمع الفضل مقالتها سقط ما في يده وتَعَجَّبَ وَخَجِلَ وقال: «انا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون! الموت اطيب من هذه الحياة الذميمة. والله لاعلمها أَنّي أنا الفضل ابن الربيع. إن أَجارتني فبكرمها، وإن أسلمتني فَبِعُذْرهَا». فقال لها: «والله أنا الفضل وما اعلم مَنْ هُوِ ابنكي ولا لأَيِّ شيءٍ قتلته، وقد رايت أن تقتليني هُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مما أنا فيه». فلما سمعت العجوز مقالته فَسَكَتَتْ ثم قالت: «والله كنت قبل ان تعلمني أَنَّك الفضل ابغض الخلق اليَّ، فلما علمت انك الفضل صرت احب الناس اليَّ، واني أَجَرْتُكَ ولا رجعت فيما قلته ابداً. والله لا يُصِيبكَ شيءٌ في منزلي أبداً ما دام فيَّ عرق ضارب»، واخذت بيده فادخلته الى مخدع وغلقت عليه الباب واخفته وقعدت على القبر تبكي.

واما محمد ابن صالح لما دخل منزل العبد وجد عمامته وثيابه ونعله ولم يره فطلبه في الدار فلم يجده (١٥و) فقال للغلام: «ويلك! اين مولاك؟». فقال الغلام للجارية: «أَيْنَ مولاكي؟»، فقالت: «من هو مولاي واين مولاي؟ ذاك من حين اختفايه ما رايته»، فقال العبد: «هو الساعة كان هنا!». قالت: «انا ما نظرته». فقال: «كذبتي!». فقالت له: «بئس العبد! ما

أنت الا كلب عقور! وأين مولاي؟ ما نظرته عيني ابداً»، فأراد ان يَضْرِبَهَا، فقال الحاجب: «صَدَقْتُ، ما انت الا كَلْبٌ عَقُور وهي خير منك وأجود وأَوْلَد حلال، يا ولد الزنا، فعليك لعنة الله يا عبد السوء الذي ما حَفِظْتَ مولاك وسعيت به عند امير المؤمنين»، ثم قال الحاجب: «يا جارية الخير، إِنَّ أمير المؤمنين قد عفى عنه ورضي عليه وهذا خاتمه في يدي وهو في ذمة الله وذمة امير المؤمنين وذمة الرشيد». فلما سمعت كلامه فرحت وعلمت انه صادق، فقالت: «يا مولاي، انه لما راك خاف على نفسه وصعد السطح وما أعلم ما كان منه»، فصعد الحاجب السطح فراى اثره ونزوله في دار العجوز فنزل إليها ومعه عبيد من عبيد المامون، فسالوها عن الفضل ابن الربيع فقالت: «يا سيدي، وأين لي بالفضل حتى اقتله بيدي هذه واخذ ثاري! هو قاتل ولدي (١٥ظ) صاحب هذا القبر». فقال لها الحاجب: «إِنَّ اثره دلنا على انه ما نزل الا دارك وانا لنعلم انه استجار بك فاجرتيه، فَلِلَّهِ درّك، فمثلك من يفعل الجميل ولم يُوَاخذ عَدُوّ لجأ إليه واستجار به! وان امير المومنين قد امنه وهو في امان الله تعالى وامان امير المؤمنين وامان الرشيد، وهذا خاتمه وقد عفى عنه ورضي عليه» - وأعملها ان العفو حصل بسبب العبد جارها لَمَّا نم عليه عند امير المؤمنين - «فَعَرِّفينا موضعه حتى ناخذه مكرماً إلى أمير المؤمنين». فقالت: «لا علم [لي] به ولا رايته، وان الفضل عدوي ولو رايته قتلته بيدي واخذت بثاري». فقال: «هو في أمان الله وأماني وأمان المأمون وأمان الرشيد». فلما سمع الفضل كلام محمد ابن صالح، وكان صديقا له، ويعلم انه لا

يجوز لمثله ان يكذب، فخرج اليه ووقف بين يديه. فلما نظره محمد ابن صالح وثب اليه وعانقه وبَشَّرَهُ أن أمير المؤمنين قد عفى عنه ورضي الله عليه، ودفع له (١٦و) [محمد][١] الخاتم ووضعه على رأسه ثم قال للعجوز: «جزاكي الله عني خيراً»، فقالت له: «والله لو لم تخرج بنفسك ما وصلوا إليك وفيَّ عرق يضرب». فخرج به محمد ابن صالح ولبَّسه ثيابه وركَّبه وسار به الى المأمون، فَقَبَّل الارض وسلم عليه وَهَنَّاهُ بالخلافة بِذُلٍّ وانْكِسَارٍ وخضوع. فقال المأمون: «يا فضل، لا بأس عليك. أنت في ذمة الرشيد، عفى الله عنك»، ثم قال: «هذا عبدك الذي سعى بك. لقد خابت تربيتك وخاب ظنك فيه». فقال الفضل: «يا أمير المؤمنين، الدنيا إذا اقبلت على العبد جعلت سيآته[٢] حسنات، واذا ادبرت جعلت حسناته سيآت. يا امير المومنين، العبد ماله سيده[٣] والابِق ما له وجه يقابل به، والعفو لمثلك عادة، والعفو عما وقع. وانتم أهله واحسانكم مَعْرُوفٌ وفضلكم موصوف وكرمكم مشهود، وانتم اهل الفضل والجود والعفو عن أهل الجرايم. وَمِثْلِي مَنْ أَخْطَأَ وَمِثْلُكَ (١٦ظ) من عفى». فقال المأمون: «يا فضل قد أمنتك وعفوت عنك ورضيت عليك ورددت ما كان اخذ منك من نعمةٍ ومالٍ وضياعٍ وكل ما كان

---

(١) في المخطوط: «الفضل». ومن البديهي أنها غلطة من الناسخ.

(٢) في المخطوط: «سَيِّـــئَـــاتُـــهُ».

(٣) كتب الناسخ سهواً «لا» بعد «ماله»، مما يُفقد الجملة معناها، كما أنه وضع الهاء في «سيده» فوق الدال، بطريقة تشبهها بالسكون. والكلمة التالية هي «الآبِق»، بمعنى «الهارب».

لك، وأضفنا معه مثله، وواجب عليك يا فضل ان تحسن لمن كنت مُخْتَفِياً عِنْدَهُ بِمَا فَعَلَ مَعَك». قال الفضل: «والله يا امير المؤمنين لقد وقع لي في يومي هذا أُمُور ما وقعت لاحد قبل ولا بعد، واقلها سِعَايَة العبد إليك، ولكن له عَلَيَّ الفضل الذي كان سَبَبَ رضاك عَلَيَّ يا أمير المؤمنين». قال المأمون: «وما وقع لك اليوم؟»، فجعل يُحَدِّثُه كيف كان أَمْرُهُ وَمَا سَمِعَهُ مِنْ بَنَاتِهِ وزوجته حتى كان سبب خُروجه وَمَا وقَعَ لَهُ مَعَ البزاز وزوجته وما وقع له مع خادِمِ الحاجِبِ الكبير وطلبه منْهُ المآء ليشرب وما جرى بين الحاجب وزوجته بسببه وإعطاها له الحُلِي والمصاغ وما وقع له مع الملاح تحت قصر امير المومنين، وكيف لقي العبد وما جرى له معه وما وقع له مع العجوز وكرمها وما فَعَلَتْ (١٧و) معه. ثم ان محمد ابن صالح أحكى بما وقع له مع العبد والجارية. قال الخليفة المأمون: «يا فضل، وقعت اليَوْم اعاجيب عظيمه!»، وتعجَّبَ من ذلك وقال: «العَجَبُ اذ لم تشيب راسك»، فكشف رأسه فإذا هي شابت. فقال له المأمون: «كنا أَمَرْنَا لِمَنْ جَاءَ بِكَ الف دينار وعشر ثيابٍ واقطاع وتقضى له عشر حوايج، وقد اجبناه لذلك ومثله لمن فعل معك معروفاً، وإن شئت تزيدهم فزدهم». فكتب له بخطه جميع ما كان له من مالٍ ومتاعٍ وارزاقٍ وأمر له أمير المؤمنين بانعاماتٍ كثيرة وكساوي وغير ذلك للبزاز وزوجته[1] ولخادم الحاجب وزوجته وللملاح كذلك ولزوجة

---

(١) كذا في المخطوط، مع أن السياق ومنطقه يقتضيان بأن تكون «زوجة البزاز» فقط.

العبد وللعَجُوز، وخرج من بين يديه حامداً لله شاكراً لأمير المؤمنين وَرَجَعَ الى اهله فَرِحاً مَسْرُوراً، واستمروا في اكرامٍ وانْعَام وسُرُور وَحَبُور الى ان اتاهُم هادم اللذات ومفرق الجماعات، رحمة الله عليهم اجمعين.[1]

---

(١) إن صفح المأمون عن الفضل ابن الربيع فتاريخيٌ تذكره المصادر؛ وأما بقية المغامرات الواردة هنا فإنها من نسج الخيال. راجع، على سبيل المثال، «الفرج بعد الشدّة» للقاضي المحسِّن التنوخي (ت ٣٨٤ هـ)، بتحقيق عبود الشالجي (وهو التحقيق الوحيد لهذا الكتاب الذي يمكن التعويل عليه)، بيروت، ١٩٧٨، الجزء الرابع، ص ص ٢٩٣-٢٩٩، حيث تُروى الحكاية على لسان الفضل ابن الربيع نفسه، ثم يُروى ما يخبره ابن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) عن استتاره. فالاختلاف بين، من ناحية، ما ينسبه التنوخي للفضل وما يقوله عنه الجهشياري، ومن ناحية أخرى، ما في حكايتنا هذه، له مغزاه دون شك، فالتركيز هنا على دور النساء، ومنه يتجلى تماسك السرد. وعدم وجود مثل هذه التفاصيل أصلاً في الرواية المنسوبة إلى الفضل في خبر التنوخي وما يخبر عنه الجهشياري يدلّ على أنها تُدوولت، أي هذه التفاصيل المغرضة، بعد موته بفترة طويلة.

حكاية علي ابن المعلم مع بنت البيسري(١)

(١٧ظ) حكي انه كان بمدينة مصر شاب يقال له عَلِي ابن المُعَلم، وكان جميل الصورة بديع الحُسْن وكان لا يَعُد الرجال ولا يفكر في الابطال. شجاع داهية من الدواهي، بلية من البلِيَّات، وكان بمصر شخص اخر مِنَ الشجعان، شاطِرٌ من الشطار، يقال له خليل البيطار، وهو بيطار السلطان وكان متزوج بامْرأَةٍ مليحه، احْسَن نسَا مِصْر، وكان خليل هذا يجحد عليها وما تقدر تشم نسيم الدُّنْيَا من غيرته عليها، غير انها لما كان يضيق صدرها تركب مع المكاري وتخرج تَنْظر النَّاس نظرة

---

(١) وليس هذا الاسم إلا إشارة إلى «الأمير شمس الدين الشمسي الصالحي النجمي، أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية، تنقل في الخِدَم حتى صار من أجلّ الأمراء في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري، واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة»، على حد قول المقريزي («الخطط»، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ٢٠٠٢، ج ٣، ص ٢٢٦). سجن سنة ٦٨٠ هـ، في عهد الملك المنصور قلاوون ثم أفرج عنه سنة ٦٩٢ هـ، في عهد ابنه الملك الأشرف خليل، ثم سجن مرة ثانية سنة ٦٩٧ هـ، بعد نمائم عدوه الأمير منكوتمر، في عهد سلطنة الملك المنصور لاجين، وما زال سجيناً حتى وفاته في السنة المقبلة.

وترجع الى بيتها، ولا يقدر واحد في مِصْرٍ يُكَلِّمُهَا ولا يشير اليها بيَدِه من خَوْفِهِمْ من زَوْجِهَا، فبينما هِيَ ذات يوم من الايام راكبة [مع] المكاري على جري عادتها، واذا علي ابن المعلم صَدَفَهَا راكبَهْ فأَعْجَبَتْهُ.

قال الراوي

فلما اعجبته الْتَفَتَ وقال: «يا مُكاري، هَاتَ جِمْلُكَ وَتَعَالىَ»، فقال: «مَا لي تصريف»، فنهض على راس الحمار ورَدَّها صَوْبَ قاعته. قالت: «يا شاطر، وراء هذه اللبْوَة أسد كاسِر، ومثل ما تقول (١٨و) انك أسد فيقول انه سَبْع مِنَ السِّبَاع». قال لها: «من يكون هذا؟». قالت: «خليل بيطار السلطان»، فقال لها: «والله لو كان في خاطري ما فعلت بك الا قدَّامَه!». قالت له: «إن فعلت ذلك فانت سَبْع مِنَ السبَاع». قال لها: «مَنْ يَحْضُر بيننا؟»، قالت: «انا! قل لي إلى اين اجيبه لك». فقال لها: «الى وادي[1] السِّدرَة ومغاير الزغلية». قالت: «كَانَ!». فقال لها: «والله ان لم تفعلي ذلك والا عرفت ايش افعل معكي». قالـ[ـت]: «ان لم الاقيك فيه غداً انا وخليل البيطار والا افعل ما تريد، ويكفي تُفَزِّعْنِي بالكلامِ وتقول: 'ما في الدنيا اشطر مني ولا ازعر وكل الرجال تخاف مني'، وانا اريد اكْشِفُكَ». فمضى وخَلاَّهَا وجاءت الى بيتها. فلما جاء زوجها خليل البيطار فَقَعَدُوا يتحَدَّثوا. قالت: «والله يا سيدي كل الرجال يفرجوا نساءهم إلاَّ أَنا. عمرك ما جبرت بخاطري ولا

(١) في المخطوط: «داري»، وهذا غلط، كما سيتضح فيما بعد.

خَرَّجْتَنِي في مَوْضِعِ!». قال: «بكره اخذك افرجك. قومي اذبحي زوج وِزّ واربع طيور دجاج اعملي طعام فاخر»، وأرسل جاب مروقتين نبيذ وقال لها: «اين نروح نتفرج؟». قالت: «في وادي السدرة ومغاير (١٨ظ) الزغلية»،[١] فقال لها: «ما لقيتي تتفرجي الا هناك؟ خَلَّيْتِي الروضة والجزيرة وانبابه[٢] وطلبتي موضع الاذا والحرامية؟». قالت: «ما طلب قلبي الا ذاك الموضع. انت تخاف؟». قال: «مبارك يا سِتِّي! أَيْنَ تريدِي رُوحي!».

قال الراوي

فأرسل خليل البيطار خلف المكاري ركبها وَحَمَّل الأَكْل والشرب والنقل والنبيذ على بَغْلٍ وساروا إلى ان وصلوا إلى وادي السدرة ومغاير الزغلية، فرأوْ[ا] هناك مغارة مليحة مشرفة على الوادي كله ففرشوا لهم في باب المغارة وقعدوا اكلوا الى ان اكتفوا وحطّوا المدام وقعدوا يشربوا وأعطوا للمكاري طَيْر دُجَاج واربعة ارغفة وسقرق[٣] نبيذ، فبينما هم في اهنا عيش واذا

---

(١) وادي السدرة حسب المقريزي هو بجوار الجبل الأحمر. وأما «الزغلية» فهم «الجماعة» الذين كانوا يمارسون تزوير العملة؛ «مغاير الزغلية» قد تكون إشارة إلى المغارات التي كانوا يختبئون فيها من ملاحقة الشرطة.

(٢) هكذا كان قديماً اسم الحي القاهري الذي يسمى اليوم «إمبابة» بالميم.

(٣) السقرق: «وعاء خاص بشرب الخمر، ويوجد نوع من النبيذ الحبشي اسمه سقرقة» (سعيد عاشور، «العصر المماليكي في مصر والشام»، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٤٧). وفي «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي»، لمحمد أحمد دهمان: «السقرقة: نوع من النبيذ الحبشي، والسقرق القطعة الأفقية من ميزاب التقطير في الإنبيق» (بيروت/دمشق، ١٩٩٠، ص ٩١).

بالشاطر علي ابن المعلم مقبل من ناحية الوادي الى ان وقف عند المغارة. فقال له المكاري: «بسم الله!»، فجلس واخذ الطير الدجاج اكله بِعِظَامِهِ في اربع لقم واخذ السقرق النبيذ شَرِبه في نَفَسٍ واحد ثم قال: «يا مكاري، ادخل هات لي شي اكله واشربه»، فارسل له طير دجاج وسَقرق مَلآن نبيذ، فتناول الدجاجة من يد المكاري واكلها سرعة واخذ السقرق النبيذ شربه على نفسٍ واحد ثم قال (١٩و) للمكاري: «ادخل هات والا قل لهم: 'في شي بسم الله؟'»، فدخل المكاري عليهم وأعلمهم بما قال الشاطر.

قال الراوي

فقالت له زوجته: «ما سُكوتك عن هذا؟ أ تخاف منه وانت تقول ان ما في مِصْر احد يقاومك وكل الشطار تخافك؟». فقال خليل: «قل له يدخل. ان كان صديقا فمرحبا به، وان قل حياؤه جازيته بفعله». فهمز قبل ان يكلمه المكاري صار بينهم وقعد وفتح السُّفرة وأكل كلما فيها من باقي الوز والدجاج وشرب المُرَوَّقَتَيْن ثم قال: «قد اكلنا وشربنا. ما بقي الا شيءٌ ننيكه! هات امراتك او صبيتك، خليني أنيكها!». قال له خليل: «ما تستحي! زادنا في بطنك وتقول هذا القول؟». قال علي ابن المعلم: «خلي عنك هذا الكلام! لازم من ذلك». قال خليل البيطار: «خلي المزح يا شاب مَليح!». قال علي: «لا بد مِنْ ذلك ولو جرى ما جرى». قال: «لا تَحْسِب الرِّجَال سَوَى! أنا خليل البيطار!». فقال علي: «والضَّرَاطه!». فطلع خُلْق خَلِيل وتحامق حمقاً شديداً.

وكان خليل معه سلاح كامل وعلي ما معه شيء (١٩ظ) إلاً سَيْف. فوثب خليل على علي وَثْبَة الأسد واخذ سلاحه واراد ان يضربه يقُصُّ عَصَبَهُ، فوثب عَنِ الأرض قدر قامة فراحت[١] الضربة في الهوى ثم ان خليل ثنا وثلث وعلي يضايعه مثل النسيم ثم ان علي جلس على الأرض واخذ بيده رَمْل ورما به في وجه خليل اعماه وكان سلاح علي تحت ثيابه، ما رضي يسحب عليه سيف، ثم وثب علي على خليل وحمله وضرب به الأرض ودار كتافه وشده واجلسه ومسح عينيه وقال له: «اقعد يا شاطر يا ابو الزُّغر كلها!»، ثم التفت الى المراة وقال: «تعالي»، واراد ان يقضي حاجة، فقالت له: «يا شاب مَلِيح [الـ]ـفتوه، فان كان ولا بد فاعل بِيَّ مَا تُرِيد اِفْعَل بزوجي قبلي حتى لا يعايرني وربما قتلني». فتركها وجاء الى خليل وقال: «نام يا شاطِر نرَقِّدَهُ»، وكشف ثِيابَهُ. فقال خَلِيل: «ما هو كذا يا شاب مليح! انا في جيرتك، انا عشيتك وقد استجرت بك!». قال: «قد اجرتك انت وزوجتك. والله انا ما لي ذنب، هي التي وقع منها ما هو كذا وكذا، وكان الميعاد هنا وانتم في امان الله»، وتركهم ومضى الى جانب الجبل المقطب[٢] الى ناحية العارض، فقوي عليه السكر (٢٠و) فحط راسه ونام، فما افاق الا نصف الليل، فقام فراى روحه في الجبل فنزل صوب القرافة

---

(١) في المخطوط: فَرَاحَةِ (!).

(٢) وهو اسم آخر للمُقَطَّم.

ومشى بين الترب فسمع من داخل تربةٍ صوت صبية وَهْيَ تقول لآخر: «خف الله فيَّ وفي عرضي! وبالله عليك، إن كنت تريد قتلي فاقتلني ولا تفضحني، فاني بكر!». فقال لها: «والله يا قحبة ما أرحمك ابداً».

قال الراوي

فلما سمع علي ابن المعلم ذلك الكلام تَسَلَّقَ وطلع الى أعلا التربه فراى شخص رَاكبٌ على صدرها وهي تقول: «باللهِ عليك اقْتُلْنِي ولا تفعل بي فاحشه، فاني بكر، ولا تفضحني!»، فقال: «لا اطلقك ابداً. ابوك مَنَعَكِ مِنِّي وضربني ونفاني وأخرب دياري! والله لا بد من اخذ وجهك».[1] وكل هذا وهي تساله العفو وهو لا يفعل ولا يقبل، فسحب علي سيفه وارمى رأسه فوقع عن صدرها فوثبت قايمة من تحته عريانه. فقال لها علي: «البسي ثيابك»، فلبست ثم لف الرجل بثيابه وارماه في فسقية هناك واخذها وخرج. فقالت له: «بارك الله فيك، يا مفرج الكرب! (٢٠ظ) خلصك الله من نار جهنم كما خلصتني»، فقال لها: «الى اين تذهبي أُوَدِّيك». قالت: «موضع تريد انت، انا صرت جاريتك عند امك او عند اختك. اين مَا ارَدْت وَدِّيني». قال: «انتي ما لك أَهْلٌ؟». قالت: «واين اهلي واين انا من اهلي؟». قال: «أَهلك من الشام؟». فقالت: «لا». فقال: «من حلب؟». قالت: «لا». قال: «من بولاق؟». قالت: «لا». قال: «ومن اين انت؟». قالت: «يا سيدي، أمري غريب وشاني

(١) وبعد هذا بعض الكلمات المشطوبة.

عجيب. انا بنت البَيْسَرِي، وهذا الذي قتلته كان دويدار[1] والدي، فرآني فخطبني من ابي، فعسر عليه فجاء به فضربه وحبسه سنة كاملة ثم شفعوا فيه فنفاه والدي الى بلاد الروم، وله سنة غايب، فجاء في هذه الليلة وتسلق وتحيَّل واخذني من مرقدي وقصري الى هذا المكان حتى مَنَّ الله عَلَيَّ بك وخَلَّصَنِي منه. وانا اذا رحت وطرقت الباب ايش يقول البوابين والطواشيه؟ وما يقولوا الا 'كانت عند عشيقها! و من خرج بها؟ هي التي خرجت بنفسها!'، ولا يصدقني احد ويتلف عرضي».

قال الراوي

فلما سمع علي كلامها قال: «انا اوديكي الى موضع (٢١و) منامك ولا يدري احد ولا يشعر بذلك»، فودَّاها الى بولاق الى بيت ابيها ثم دار ورآ البيت وقال: «اين مرقدك؟». قالت: «داخل هذا المكان»، فجآ الى الحايط واخرج منه حجرا وادخلها. فلما دخلت ناولته سوار من ذهب مُفَصَّص وقالت له: «هذه ثمنها كثير، خذها تَنْفَعَكَ»، وردها لها فوقعت في النقب بين احجاره،

(١) هناك اختلاف يسير بين المتخصصين حول كيفية رسم هذه الكلمة، فمنهم من يكتب «دويدار» ومنهم من يكتب «دويتدار» ومنهم من يكتب «دوادار». ومن بين ما قيل نختار شرحاً وجيزاً لمحمد أحمد دهمان: «هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ويتولى أمرها مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال» («معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي»، بيروت/ دمشق، ١٩٩٠، ص ٧٧). وفي كتاب «تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل»، لأحمد السعيد سليمان، شرح أكثر تفصيلاً لمراتب هذه الوظيفة (القاهرة، ١٩٧٩، ص ص ١٠٩-١١٢).

ثم انه رَقَّدَهَا مكانها، فقالت له: «مِنْ هُنَا أَخَذَنِي»، فقال لها: «نامي»، واراد يَرُوح، فقالت: «سالتك بالله اعطني يدك أبوسها»، فَمَكَّنَهَا من يدِهِ فباسَتْهَا وَمَسَكَتْهَا وقالَتْ: «اعيط وأقول: 'هذا جاءني في مرقدي ومسكته!'». فقال لها: «هذا فعل اولاد الحلال». قالت: «والله ما أُسَيِّبُك حتى تقول لي على إِسْمكَ واين بيتك، وما يكون الا خَيْراً». قال: «اسمي علي ابن المعلم، من سويقة العِزِّي».[1] قالت: «بالاسم الاعظم؟»، فقال: «والاسم الاعظم». فقالت: «رُوح في امان الله وَسُد النقب». وتوجَّه الى حال سبيله.

ان الصبية لما اصبحت جاء ابوها فرأى لونها مُتَغَيِّراً فقال لها: «ما لكِ؟». قالت: «رأيت مناماً فزعت منه»، فتركها (٢١ظ) ومضى. ثم بعد ليالي رات في منامها أن الرجل جاء اخذها وجاء علي خلصها فانتبهت مرعوبه. فلما اصبحت فتح ابوها حاصله وخرج، فنسيه مفتوح فدخلت تتفرج فرات صندوق صغير مقفول فاخذته وقفلت الباب وكان عندها قهرمانه ناولتها الصندوق وقالت: «خذي هذا واذهبي الى سويقه العزي واسألي عن علي ابن المعلم، فإذا رأيتيه اعطيه هذا الصندوق وقولي له: 'ستي بنت البيسري تسلم عليك وتقول لك هذا ما هو من قدرك'»، فاخذته العجوز وتوجهت إلى سويقة العزي وسألت عن علي ابن المعلم فبقيت كلما سألت واحد ما يرد لها جواب، فغلبت والعجايز ما

---

(١) يفيدنا المقريزي أن هذه السويقة مكان قريب من مدرسة السلطان حسن؛ لم يكن بعيداً عن باب زويلة.

يُغْلَبُوا. فجاءت الى فرن وقالت: «يا خباز، كيف حرقت خبز ام علي اليوم؟»، فخاف وقال: «انا ما خبزت لها اليوم خبز!». فقالت له: «حلفت اذا جاء ابنها تخليه يجيء يخرب فرنك على راسك؟». قال: «يا ستي، هذا شر بالغصب! تعالي، أنا اروح معك إليها»، فمشى معها الى الباب واراد يدخل. قالت له العجوز: «ارجع، قد عرفت (٢٢و) البيت». فقال لها الْفَرَّان: «الله بيني وبينك يا عجوز النحس! أرميتيني في داهيه!»، وخار عقله وراح هارباً. فَدَقَّتِ الباب فخرجت إليها أُمُّه وقالت: «ما حاجتك يا حَجَّة؟». قالت: «اريد سيدي علي». قالت: «ما هو هنا ولا نعرف أين هو». قالت: «ما تَمَّ الا خير يا ستي، غير ان امراته التي تزوج بها قد ولدت وجئت أُعْلِمُهُ حتى لا يبقى يقول ’ما اعلمتموني‘». فقالت أمه: «هو تزوج وما اعلمني؟ يكون انتي غلطانه!». فقالت العجوز: «لا اله الا الله! انا ما اعرف سيدي علي ابن المعلم؟ هل في حارتكم غيره؟». قالت امه: «لا».

قال الراوي

فدخلت أمه اليه - وكانت تخاف عليه من الوالي - وكان نايم فَنَبَّهَتْهُ وقالت له: «يا ولدي، تَتَزَوَّج وما تُعْلِمُنِي؟ أنا عدوتك؟ وهل كنت اكل امراتك؟». قال: «من قال؟». قالت: «عجوز واقفة على الباب قالت إنَّ امراتَك وَلَدَتْ!». فتغَيَّظَ وخَرَج إليها، فلما رَأَتْهُ عَلِمَتْ انه قاصد أَذَاها. قَالَتْ له: «يا سيدي علي، السِّت بنت البَيْسَرِي تُسَلم عليك وتقول لك: ’خذ هذا الصندوق وان كان ما هو قدرك‘». (٢٢ظ) فاخذه وَقال: «كثر الله خَيْرَهَا وَسَلِّمِي عَلَيْهَا».

هذا ما جرى هنا. واما ابوها فانه فتح الحاصل وطلب الصندوق فلم يَرَهُ في الحاصل، فضرب العبيد والجوار والطواشيه فلم يقروا بشي. وكان الصندوق كله معادن وجواهر وتحف وسبايك ذهب وفضه وغير ذلك. فأرسل والدها خلف عريف الصاغه واوصاه و عرفه بما ضاع. ثم بعد ايام اصبح علي مفلس ففتح الصندوق رأى فيه شيء يدهش العقل من معادن وجواهر وتحف وسبايك ذهب وغير ذلك، فقال: «الذهب ما يعرف، فاتركه حتى تدبر فيه تدبير». ثم اخذ من السبايك ولم يعلم انهم مختومين بختم صاحبهم وجا الى السوق واعطاهم للدلال، فأخذهم الدلال واعطاهم الى عريف الصاغة وقال له: «افتح باب هذه السبايك».

قال الراوي

فَمَسَكَ العريف السبايك فرأى الختم باسْم البيسري فأرسل العريف قاصد من عنده يخبر البيسري أنَّ العُيِّنَة ظهرت في السوق. أرسل من يقبض على الغريم وقد شاغل علي وقال له: «اجلس، فإنا أرسلنا نجيب المال (٢٣و) ثمنهم»، حتى وصلت الرسل، فقالوا: «هذا صاحب السبايك»، فحملوا الشاطر علي وذهبوا به الى بيت الوالي، فقال له الوالي: «من اين لك هذه السبايك الذَّهب؟ ومن جاء بها إليك؟». فقال علي: «ما جابها الَيَّ أحد». فقال له الوالي: «هات الصندوق والا عاقبتك بالضرب بالمقارع وغيرها». فقال علي: «الصندوق عندي»، ثم انه ذهب مع جماعة الوالي الى بيته وجاء بالصندوق لم ينقص منه واحده ولا خردله. فقال له الوالي: «قل لي من اعطاك هذا

الصندوق؟ انت ما لك وصول الى بيت الأمير». فقال: «انا اخذته». قال: «انت حرامي؟». قال: «نعم»، فكرر عليه القول، فقال الوالي: «نشاور عليه السلطان»، فشاور عليه السلطان فطلبه الى عنده فراه السلطان شاب ظريف لطيف امرد مليح فرحمه السلطان ثم قال له: «انت اخذت الصندوق والا احد اعطاك اياه؟». فقال: «يا مولانا، ما اخذه إلاّ أَنا». فتغيظ السلطان وقال: «اذهبوا اقطـ[ـعـ]ـوا يده في الموضع الذي سرقه منه!»، فاخذوا علي والصندوق حامله على راسه والمشاعلي ينادي عليه (٢٣ظ) الى ان وصلوا الى بيت البيسري وعبروا به الى الدار والخَلْق حَوْلَهُ يبكون على حُسْنِهِ وصغر سنه، فالتفت يمين وشمال فقالوا له شطار بولاق: «ما تُرِيد يا شاطر علي؟ نخلصك بأَرواحنا؟». فقال لهم: «شربة مآءٍ اشربها بيميني قبل قطعها». فقالوا للمشاعلي: «اصبر حَتَّى نسقيه شربة مآ»، واتوا بكوز مآ ليشرب منه وكان بعض الطواشيه دخل واخبر اهل البيت وقال: «يا سِتِّي، قد مسكوا الحرامي الذي اخذ الصندوق الذي ضربنا سيدنا لاجله ويريدوا يقطعوا يده الساعه!». فلما سَمِعَتِ البِنْت ذلك قالت: «واين هو؟». قال: «ها هو في الحوش». فقامت تجري حتى طلعت فوق المكان الذي تنظر اليه فيه واذا هو غريمها علي ابن المعلم ممسوك ويده مربوطه والمشاعلي قد ركب السكينه على المفصل، فمَا مَلَكَتْ نَفْسَهَا - ووالدها واكثر الأُمرا والوالي جالسين على الدكة في الحوش - اذ رمت طاقيتها عن راسها فوقعت في صدر المشاعلي، فرفع راسه فراها فقالت: «ان قطعت يده خليت السلطان يقطعك بسيفه!»، فمسك يده.

فقال البيسري: «ما تقطع!؟». قال: «جاءت شفاعة!». فقال: «ممن؟». قال: «من الست». فشال راسه راى بنته قالـ[ـت] له: «لا تفعل!»، فاخذ سيفه (٢٤و) ودخل اليها وقال لها: «يا قحبة، عشقتيه!». فقالت له: «اترك هذا الكلام، وما احكي قصته الا بحضرة السلطان»، فاراد ضربها بالسيف فمدت عنقها وقالت: «اضرب لأموت واكون فداءَه!».

قال الراوي

فلما سمع ابوها ذلك تَعَجَّبَ وقال: «ما السبب؟». قالت: «ما اقول لك واخبرك الا بحضرة مولانا السلطان». فخاف ابوها ولحقته الخشية عليها فخرج وركب وقال: «هاتوا هذا الحرامي»، فاخذوه وذهبوا به الى الديوان. واما ما كان من الست فركبت [مع] مكاري وسبقتهم الى القلعة ودخلت الى داخل الديوان. فلما وصل البيسري حل حِيَاصَته[1] وقال: «ما لي حاجة بامرية!». فقال له السلطان: «من عارضك في غريمك وخلصه منك؟». قال: «ما أحد، غير ان بنتي وقع منها ما هو كذا وكذا وأرمت طاقيتها عليه شفاعة، ثم اني كلمتها في ذلك فقالت: 'ما احكي قصتي الا بحضرة السلطان'، فاردت قتلها وقد خشيت من

---

(١) الحياصة حزام عسكري خاص بالمماليك تكثر فيه الفضة والذهب. عن «سوق الحوائصيين» في القاهرة، راجع: المقريزي، الخطط، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن، ٢٠٠٢، ج ٣، ص ص ٣٢٩-٣٣٠، وكذلك دوزي، Dictionnaire Détaillé des Noms des Vêtements chez les Arabes، ١٨٤٣، ص ص ١٤٥-١٤٧.

مولانا السلطان، حفظه الله، فتوقفت لتقول:[1] 'ما شاورني'، وها انا جئت (٢٤ظ) وامرت بها أن تحضر بين يديك». فما اتم كلامه وإذا بالزمام[2] يقول: «يا مولانا السلطان هذه بنت الأمير البيسري خلف الستاره»، فاخرج السلطان من كان حاضراً وما بقي سوى ابوها. فقال لها السلطان: «من اين تعرفي هذا الحرامي؟». فقالت: «يا مولانا، ما هو حرامي، وما أخذ الصندوق الا أنا، وأرسلته اليه». فقال السلطان: «من اين عرفتيه؟». فقالت: «يا مولانا السلطان، نصرك الله، حكايتي عجيبه! بينما أنا في ليلة من الليالي نايمة في بيت أبي، وكان دويدار ابي جرى له كذا وكذا مع ابي، وها والدي يسمع» - قال: «نعم» - «فضربه ابي وحبسه ثم نفاه. فجاء في ليلة من الليالي وتسلق وحملني من مرقدي» - واحكت له الحكاية إلى حين وقوفها بين يديه - «وأن والدي يعرف صحة ذلك حين دخل عليَّ ورأى وجهي متغير فسالني عن ذلك فقلت له: 'رايت مناماً فزعت منه'، ومثل هذا، يا مولانا، ما تقطع يده». فقال السلطان: «حتى ننظر منه ما يقول. روحي (٢٥و) الى وَرَآ الستارة»، فراحت ووقفت وطلب علي ابن المعلم وقال له: «من سرق هذا الصندوق؟». قال: «انا سرقته». فكرر عليه السلطان القول وهو يقول: «انا سرقته». فقال: «ان بنت

---

(١) يقتضي السياق أن تكون العبارة: «لئلا تقول» أو «لكي لا تقول».

(٢) يقول سعيد عبد الفتاح عاشور نقلا عن القلقشندي: «زمام دار (زنان دار): الموكل بحفظ الحريم، أي الذي يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدم والخصيان» («العصر المماليكي في مصر والشام»، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٤٤).

الأمير تقول غير هذا». فقال: «يا مولانا السلطان، هي احكت لك؟». قال: «نعم، وها هي واقفه تسمع ما تقول». فقال: «يا مولانا، لو لا انها احكت لك الحكاية والله ما كنت افضحها ولو قطَّعوا جميع اعضائي».

قال الراوي

فتعجَّب السلطان من مُرُوءَةِ هذا الشاب وقال: «احكي الآن كيف كان الأمر»، [فاحكى علي ابن المعلم] ما وقع له مع زوجة خليل البيطار الى حين وقوفه بين يديه، ثم قال: «والسوار يا مولانا الى الآن في النقب، والرجل الى الآن في الفسقية بثيابه وسلاحه». قال السلطان: «اول اذهب ووالدها الى النقب وهات السوار إن كنت صادق». فمضى وقلع الحجر واتى بالسوار، فرأى السلطان ان كلامه صدق، ثم انه احضر خليل البيطار وزوجته وقال لهم: «ا تعرفوا هذا الشاب؟». قالوا: «نعم، (٢٥ظ) وجرا لنا معه كذا وكذا، وانه شجاع عفيف. لما استجرت به جارني وجار زوجتي، وما كان ظني انه يعفو عني وعنها، وقد فعل فِعْل الأحرار أصحاب المروءة وذهب الى جهة الجبل المُقَطَّب». فقال السلطان: «قد وافق قولك قولها، وقد صدقت في قولك لما رايت كلام بنت الأمير وكلامك واحد، ولكن بقيت واحدة إن صدقت فيها فانت حُرٌّ على صغر سنك». قال: «يا مولانا، وما هي؟». قال: «هات المملوك الذي قتلته في التربه، لان الأمير يقول انه في بلاد الروم ونُفِيَ».

قال الراوي

فلما سمع ذلك اخذ الوالي ومضى الى التربة اخذ المملوك

بثيابه وسلاحه وحملوه إلى بين يدي السلطان، فلما راه الامير البيسري عرفه وعرف سلاحه[1] ورأى في جيبه حلقها البلخش وشي من مصاغها، فَتَحَقَّقَ السلطان ووالدها صدق علي ابن المعلم وصدق بنته فقال: «يا مولانا، الاصح[2] عندي كلما قَالَهُ وَقَالَتْهُ». قال السلطان: «وأنا أقول كذلك، لكن بقيت واحدة». فقال علي: «وما هي يا مولانا، نصرك الله؟». قال: «ان لقيناها بنت بكر مَا صَابَهَا (٢٦و) شَيء، والله فانت اهل للكرامة، وان كان حدث بها حادث فما عليك لومٌ لأنك شابٌّ وهي شابَّه، وما أعلم اليوم في مصر أحسن منها».

قال الراوي

فعند ذلك قال علي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! بالله يا مولانا، إن كان اصابها شيء لا تبقني، واكون خاين الله والامانة». وطلبوا الدايات وكشفوا عنها فرأوها بكر عذرا ما صابها سُوء. ففرح أبوها ثم باس رأس علي ابن المعلم وقال له: «تَمَنَّى عليَّ وعلى مولانا السلطان»، فقال: «تمنيت خلاص عرضي وعرضها والسلام». فقال السلطان لوالدها: «انا اتمنى له». فقال أبوها: «قل يا مولانا، نصرك الله!»، فقال: «هي له زوجه وهو لها زوج، وكل منهما احق بصاحبه»، ثم طلبوا القاضي وكتبوا كتابها على علي ابن المعلم وأمهرها السلطان من عنده وكتب له اقطاع ورزق وغير ذلك وجعل لهم عرس عظيم

---

(١) «وحملوه إلى بين (. . .) سلاحه» على الهامش.

(٢) وقد تكون العبارة: «الآن صحّ».

وحُمِلَتْ من عند الأُمرا والكبرا الخيل والسلاح والقماش وصار من جملة الأمرا بمصر المحروسة ودخل عليها وصاروا (٢٦ظ) في الذ عيش وأهناه إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، رحمة الله تعالى عليهم اجمعين.

حكاية هارون الرشيد مع الفقاعي[1]

حكي ان هارون الرشيد، رحمه الله تعالى، كان قاعدا ذات يوم من الأيام في قصره الذي يكشف على الدجله وعنده بعض ندمآيه وخواصه، إلى أنْ دخل عليهم الليل، ففتح الخليفة الشبابيك وهو ينظر الى الدجله، واذا حراقة[2] جديده مزخرفه بانواع النقش والقماش مُقْبِلة من كبد الدجلة تُذْهِلُ الناظرين وفيها شاب جالس وعنده عبيد وجوار، ومن جملة الجوار ثلاثة كالأقمار يغنوا بين يديه وقد أخذت واحدة منهن العود وأنشأت تقول هذه الابيات الزاخرات - شعر:

---

(١) تُذكّر تيمات هذه الحكاية بحكاية أخرى هي حكاية منجاب وردت في مخطوطة فريدة لألف ليلة وليلة نسخت في مدينة الرشيد المصرية في القرن الثامن عشر الميلادي، والآن نعمل على تحقيقها. وهارون الرشيد، الخليفة العباسي الخامس، الذي حكم بين ١٧٠هـ و١٩٣هـ، أبو محمد الأمين وعبد الله المأمون، أشهر من أن يعرّف به. حيكت حوله أساطير كثيرة. «الفُقّاعي» هو من يصنع الفُقّاع، والفقاع هو «شراب مسكّر يتخذ من الشعير، وقد سمي بذلك لما يعلوه من الزبد والفقاعات» (حسان حلاق وعباس صباغ، «المعجم الشامل في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية»، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٦٤).

(٢) في المخطوط: «خراقة».

إلـى كـم فـي مـحـبـتـكـم أُضَـامُ

ولا احـظـى بـطـيـفـكـم مَـنَـام

كـلـفـت بـحـبـكـم طـفـلا صـغـيـرا

وهـا أَنـا والـمـشِـيـب عَـلَـى الـتِـآمُ

إذا مـا رمـت أن أسْـلَـى هَـوَاكـم

تَـفَـصَّـلَـتِ الـمَـفَـاصِـل والـعِـظَـامُ

(٢٧و) شفائي قربكم وَدَوَا سِقَامِي

وبـعـدكـم عـلـى الـدنـيـا الـسـلام

خيام الشوق قد نُصِبَتْ بِقَلْبِي

وَهَـا أَنَـا واقِـفُ بَـيْـنَ الـخـيَـام

فَـوَا أَسَـفِـي عَـلَـى مـا كـان مِـنِّـي

وَمَـا اخـطـات يـا بَـدْرَ الـتـمـام

قال الراوي

فلما سَمِع الشاب ذلك صَرَخَ وشق ثيابه وَخَرَّ مغشيّاً عليه . ثم جلس وهو يَقُول: «صَدَقْتِي، فَوَاأَسَفاً عَلَى مَا كَانَ مِنِّي! وَوَاحَزَانَاهُ! وَ[ا]نَدَمَاهُ!». فلما رأؤ[ا] جواره ذلك قاموا اليه وجعلوا يكبسوه وَيُلَاطفوه حتى افَاقَ ودُمُوعه تجري على خَدِّه وهو ينظر الى جواره بطرفٍ مكسور ويقول: «ترى نعود كما كنا؟»، ثم دارت الاقداح وَقد أَمَرَ الجارية الثانيَة تُغَنِّي، فَأَخَذَتِ العُود وانشات تقول هذا الابيات - شعر:

أَقـصـروا هَـجْـرَكُـمْ وَقِـلُّـوا جَـفَـاكـم

فَـفُـؤَادِي وَحَـقِّـكـم مَـا سَـلاَكـم

فَـارْحَـمُـوا مُـذْنِـفـاً كـئِـيـبـاً حَـزِيـنـاً

ذُو غـرَامٍ وَلَـوْعَـةٍ فـي هَـوَاكُـمْ

قَـدْ بَـرَاهُ الـسِّـقَـام مـن عـظـم وَجْـدٍ

يَـتَّـمَـنَّـى مِـنَ الإِلـه رِضَـاكُـمْ

(٢٧ظ) يا بدورا محلهم في فُؤَادي

كـيـف أَخْـتَـار فِـي الأَنَـام سِـوَاكـم؟

قال الراوي

فلما سمع غناها صاح صيحة عظيمة، اعظم مِنَ الأُولَى، وخر مغشيا عليه. فقاموا الجوار اليه وداروا حوله وَكَبَّسُوه حتى افاق من غَشْوَتِهِ، ودموعه تجري على خده. فَغَيَّروا عليه ثم اداروا الأقداح وامر الجارية الثالثة ان تُغَنِّي فأخرجت كَمَنْجه وَمَسَكت رفيقتها العود وانشات تقول هذه الابيات - شعر:

الـدمـع راحـة قَـلْـبِـيَ الـمَـحْـزُون

يـا بَـدْرَ تِـمٍّ زاد فِـيـه شُـجُـونِـي

من يوم هَجْرِكَ زاد وجدي والقِلَى

وَاستحسنت[1] الغُفَال فيه جُنوني

فَـارْحَـم لِـصَـبٍّ أنـت مـالـك رقـه

فَعَسَى يَعُود النَوْم نَحو جُفُوني

فاسمح بطيفك في المَنَام فَربَّمَا

نـلـت الـمُـنَـا فِـي كـيـد مَـنْ عَـذَلُـونـي

---

(١) كلمة مطموسة في المخطوط، وما أثبت فمن باب الترجيح.

فلما سمع هارون الرشيد ذلك كله قال: «يا جعفر!»[1].

قال: «لبيك يا أمير المؤمنين!». قال: «هذا أمر عجيب بشاب مليح ظريف ذو هيئة حسنة، وما كمل لانه ما تَهَنى بسعادته، وما يخلو أمره من ان يكون له حديث غريب، وَأَشْتَهِي أَن أسمع حديثه وان كان حَصَل له امر ساعدته (٢٨و) عليه، وان كان عليه ظلامة أزلتها. فبحياتي يا جعفر، احضره الى عندي». فمضى جعفر واحضره وهو في غشوته وبعد ساعة فتح عينيه فنظر الخليفة وهو يرش الماء على وجهه، فلما رأى الخليفة والنُّدَمَا والوُزَرَا نهض الشاب وقد اندهش عقله ثم صحا من دهشته وقبل الارض وقال: «السلام عليك يا امير المومنين وحامي حوزة الدين! السلام على الحضرة النبوية والسلالة العباسية! ادام الله بك عز الإسلام والمسلمين، وهدم بهيبتك ذكر الكفرة والمشركين». فأمره الخليفة بالجلوس فجلس وقال: «يا فتى، ما اسمك وابن من تكون؟». فقال: «اسم المملوك عماد الدين، وأُعْرَفُ بالفُقَاعي». قال الخليفة: «رايتك وأنت في الحراقة وقد جرى لك ما جرى، وقصدي تعرفني خبرك، فان كان لك حاجة

---

(١) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى. بغدادي المولد والنشأة، من أسرة البرامكة التي اشتهرت بالسلطة والوزارة والنفوذ السياسي، وكذلك بكرمهم الذي تغنى به ومدحه أكثر من شاعر (وفي بغداد حتى أيامنا هذه يقال «برمكي» عن الرجل السخي). وزير الرشيد، من أقوى الشخصيات السياسية في تلك الفترة، حتى نكب به وبأسرته الرشيد نفسه واستأصلهم بداية به سنة ١٨٧ هـ، لأسباب ما زالت موضوعاً للمناقشات.

قضيتها، وان كُنْتَ فقيراً أغنيتك. اخبرني بقصتك وحالك».

قال الراوي

فلما سمع كلام أمير المؤمنين قَبَّلَ الارض وقال:

اعلم يا امير المؤمنين أني كنت في اول أمري (٢٨ظ) صاحب دكان ابيع الفقاع فيه، وكانت دكاني مليحة ظريفه لطيفة، فيها عدة جميلة نظيفة، وكنت مشهور بعمل الفقاع الخاص المَشْ[كـ]ـوب بالعطريات والروايح الطيبة والإقسما[1] المليحة النفيسه، وكل من في بغداد، أُمَرَا وغيرهم، ياخذون من دكاني. فَقَدّر الله الكريم اني كُنْت يَوْماً جالس في دُكَّانِي وإذا بامرأة جاءت كأنها البدر في كماله وخلفها جاريتين كالأقمار. فوقفت من بعيد وعيطت لي وقالت: «اسقينا فقاع خالص طيب الرايحة». فقلت: «يا ستي، والله لسوء حَظِّي ما عندي الساعة شي». قالت: «أُفّ عليك! ما تقدر تعمل لنا سُلْطانيّة نشربها؟». قلت: «نعم يا ستِّي، أعمل». قالت: «ما عندك مكان نستريح فيه لحظه حتى نشرب الاقسما؟». قلت: «عندي، إن رضيت المملوك يكون في الخِدْمَهْ، لكن منزله منزل الفقرآ». قالت: «امش اورينا اياه»، فمشيت بها الى مكاني، وكان موضع مليح مناسب لمثلي مُرَخّم، بفسقية وشاذِرْوَان وفرش نظيف. فلما رأته اعجبها وقالت: «مكانك مليح واشياتك (٢٩و) نظيفة»، ثم قلعت

---

(١) كلمة من أصل يوناني، يوجد بعض الاختلاف اليسير في رسمها. «نوع من الشراب المطيب والمحلّى والمبرد» (محمد أحمد دهمان، «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي»، بيروت/ دمشق، ١٩٩٠، ص ٢١).

إزارها وقعدت وجوارها، وقلعت النقاب. ثم أخرجت مَنْدِيل حلت منه خمسون ديناراً وقالت: «خذ هذه الدراهم واذهب فاشتري لنا شي ناكله». فَمَضَيْتُ الى السُّوق واخذت لَهُمْ احسن ما فيه من المأكول واشتريت لهم اقسما وغيرها وحملت ذلك وجيت اليهم وَمَدَّيْتُ لَهُمْ سُماطْ مليح فيه جميع ما تشتهيه نفوسهم وقلت لهم: «بسم الله»، فاعجبها ما صنعته ونظرت اليَّ وقالت: «اجلس كل مَعَنَا»، فجلست واكلنا الجميع بحسب الكفاية وشِلْنَا السماط وغسَّلْتُ على ايديهم ثم بعد ان اطمأنت قالت: «هذه القاعة مِلْكك؟». قلت: «نعم». قالت: «مكانك مليح وانت أحسن، فما عندك شي نشربه؟». قلت: «والله يا ستي الان ما عندي[1] شي، لكن إن رأيتي[2] كنت في الخدمة واحظى بسعادتك». فقالت: «اذهب فَاشْتَرِ لنا»، فمضيت الى صاحبٍ وقصدته في شيءٍ، فَأَعْطَاني الذي أردته من الشَّراب وشريت نقل ومشموم وجميع ما احتاج اليه. فلما راتني رجعت بِسُرْعَة فَرِحَتْ وسُرَّت وقالت لبعض جوارها: «انزعي اثوابي عني، فلقد طاب عَيْشُنَا وَسَعِدَ وَقْتُنَا». (٢٩ظ) ثم امرتها ان تغني لنا فاخْرَجَتْ عُود كان معها مُلَكَّك في كيس حرير، فركبته وجعلت تقول هذه الابيات الزاخرات:

وحـيـاة وجـهـك لا احـب سِـوَاكـا

حـتـى الـمـمـات ولا امـل الـقـاكـا

---

(١) وقبل هذا، مشطوب عليه: «مَا بَقِي».

(٢) كلمة شبه مشطوبة يبدو أنها لم تُستدرك ربما لهفوة مِن قِبل الناسخ.

يـا بَـدْرَ تـم بـالـجـمـال مُـبَـرْقَـعُ

كـل الـمـلاح تَـسِـيـر تـحـت لِـوَاكَـا

انـت الـذي فـقـت الـمـلاح لـطـافـة

وَالله رَبِّ الـعـرش قَـدْ اعـطـاكـا

قال الراوي

فلما سمعت ذلك يا امير المؤمنين حصل في من الطرب ما لا اصفه ودار بيننا الشراب، ثم قالت لواحدة من الجوار: «غني لنا»، فانشات تقول هذه الابيات:

[...] دلا لا[1]، لا صبر لي عنك لا لا

يا احسن الناس وَجْهاً وَقامَةً واعتِدَالاً

قد حُزْتَ مَعْناً ظَرِيفاً وَقَدْ حَوَيْتَ الكَمالاَ

قال الراوي

فعند ذلك طاب وقتنا ثم انها شَرِبَتْ واسقتني وشربت واسقيتها ونزلت عندها ونزلت عندي حتى دَبَّتْ الخمرة في دماغها واحْمَرَّت وجنتيها وغزلت مُقْلتيها وبقيت فتنة لمن يراها. فلما غلب (٣٠و) عليها السُّكر وانا كذلك، ضمتني الى صدرها وجعلت تقبلني واقبلها، فعند ذلك طاب وقتنا وناموا الجوار عنا وغلقوا علينا الباب. فلما اصبحنا دفعت لي كيس فيه ألف دينار وقالت: «استعين بهذا على وقتك»، ومضت الى حال سبيلها، وانا ميت في مَحَبَّتِهَا. فَغَابَتْ عني عشرة ايام لم أرها وأنا اتقلا

---

(١) في بداية السطر كلمة غير مقروءة تهيأ لنا أنها «تمطر». وفي «دلالا» قد تقرأ الدال واواً.

على النِّيران ولم اعلم ما جرى عليها، الا انها قالت لي: «ما أَغيب عنك اكثر من ثلاثة أَيَّام، ولا تبرح من هذه القاعه ولا تدخل فيها أَحَداً غيري». قُلْتُ: «السمع والطاعة». فضاق صدري لغيابها ولم يطب لي عيش ولم اعرف لها مكان. ثم [بعد] ايام وانا في الدكان واذا بها قد اقبلت، فلما رايتها من بعيد فرحت واخذت مفتاح القاعه وتوجهت اليها فقبلت يَدَيْهَا وقلت لها: «اسبقيني حتى اجي»، فلما توجهت الى القاعه اخذت في عَمَلِ عِجَّه وسنبوسك وشرايح ودجاج وَحَلْوَ[1] ونقل ومشموم وجميع ما تحتاج اليه، وجئت فَمَدَّيْت سُماط مليح وأنا مستحي منها وقلبي طاير من الفرح. ثم أكلنا حتى اكتفينا ورُفِعَت المايده. فقالت: «يا عماد الدين، أين عادتي؟». قلت: «تحضر!».

قال الراوي

(٣٠ظ) فلما سمعت قولها احضرت النبيذ وما يُناسِبُه من نُقْلٍ ومشموم وغير ذلك، وشربنا اقداحاً وَأَمَرَتِ الجارية أن تغَنِّي فغنَّت هذه الابيات الزاخرات - شعر:

أَنْتَ الحبيب وَدَع يَمُوت الحَاسِدِ
وَأَنا المحب وقيل حبي زايد
واذا ادَّعَيْتَ بانني لك عاشِقاً
فَنُحُوْل جِسْمِي والضنا لي شاهِد

(١) في المخطوط: «حَلْوَا»

لا عيش لِي يحلو[1] وَمَا انت مُسَامِرِي
وَأَنا لِحُسْنك ذا البديع أشاهد

قال الراوي

وقطعنا نَهَارَنَا وجَمِيع الليل على الَذّ مصاحبة. ثم جذَبَتْنِي إليها فقاموا الجوار على العاده وبتنا أحسن مبيت. ولما أصبحنا اخرَجَت الف دينار وقالت لي: «بِعْ دكانك وخذ لك دكاناً في سوق التجار، ولا تاخذ الا احسن دكان هناك. واحذر ان تجعل فيها قماش وَطِي، ولا تأخذ الا اغلا القماش واحسنه. وما احْتَجْتَ مِنَ المالِ اتِيكَ به». فقبلت يَدَهَا وقدَّموا الجوار الأكل فاكلنا، ثم قالت للجارية: «اعرفي الموضع حتى أرسلك اليه غداً بالمال». ثم اقامت عندي ذلك النهار وتلك الليلة، (٣١و) ونحن في الذ عيش واحسن ما يكون. فلما اصبحنا قامت تُوَصِّينِي على أخذ دكان مليح وانصرفت. ثم خرجت أنا وبعت الدكان.

قال الراوي

وكان يا امير المومنين والدي تَوَفَّى وأنا صغير السن وقد وضع القاضي يده على جميع مال والدي، فجئت اليه وقلت له: «احتجت للمال، اعطني ايَّاهُ حتى اخذ لي دكان مليح للقماش، وما بقيت اتعاطى صناعة الفقاع». فأعطاني الفين دينار، فبقي معي اربعة الاف دينار. ثم اتيت الى القيسارية واخذت دكان مليح واشتريت قماش وموازين الذهب والفِضَّه واذا بها قد ارْسَلَت مع الجارية عشرة الاف دينار، فاشتريت عبيد وقماش

(١) في المخطوط: «يحلوا».

مليح وبقيت تاجر كبير. ثم انها اتتني مع جوارها الى القِيسَاريَّة وجلست على جنب الدكان، فنهضت إليها وقبلت يدها. قالت: «اجلس ارني القماش الذي اشتريته». فعرضت عليها القماش الذي اخذته واخبرتها المُشْتَرَى، فأخذت الجميع وجعلت لي الف دينار فايده غير الراس مال. ثم طلبت لها (٣١ظ) حَمَّالين حملوا القماش وراحوا، وأنا كثير الهيبة منها ولم اذكر لها شيء. فلما كان ثاني يوم ارسلت الجارية بثمن القماش والفايده، فلما صرت انا والجارية في القاعه شِلْت ذيلها على رأسي. قالت: «ما تريد؟». قلت: «انا في حَسَبِك. هذه بنت من تكون وَمَنْ يقال لَهَا؟». فقالت: «هذه بنت الوزير جعفر البرمكي، وهي أصل البيت، وما قالت عليه وشرعت فيه ما يقدر احد يخالفها ، وهي حَلّهُ وربطه لِأَنَّ ام جعفر رَبَّتْهَا وَهْيَ صغيرة وانها عزيزة عندها. وقد عشقتك وحَبَّتْكَ، فاحمد الله على ما رزقك وَوَهَبَك». فَقُلْتُ: «والله يا جارية الخير، وأنا أَعْشَقَهَا وأُحِبُّهَا ولا أنام الليل من شدة محبتها، وليس لي صَبْرٌ عنها ساعة واحدة». فقالت الجارية: «قد نلت مِنْهَا مُرَادك! وَمَا الَّذي تريد مِنْهَا مُرَادكَ؟». [1] قلت: «أشتهي اتزَوَّج بها ونكون مجتمعين ليلا ونهاراً». قالت الجارية: «وانت تشتهي هذا؟». قُلْتُ: «نَعَمْ!». قالت: «حتى اشاورها وأَوَدّ[ي] عليك الخبر، فإن رَأَيْتُ لها رغبة في ذلك عَرَّفْتُك، (٣٢-أ-و) واظنها مَا تَمْتَنِع منك، وإن كان خلاف ذلك عرفتك»، فجازيتها خيرا ومضت الى حال سَبِيلِها.

---

(١) وبعد هذا تتكرر الكملة في غير محلها.

قال الراوي

ثم بَعْدَ أن مَضَت الجارِية رَجَعَت ومعها ورقه ان المال وصل بالتمام، واعترفت بذلك واجبت بأن المال وصل إليَّ، ثم تَوَجَّهَت فغابت عني مدة وانقطعت الأخبار عني وقَلِقْت لذلك وانا أُمَنّي نَفْسِي بِلَعَل وَعَسَى، ولم أزل كذلك عشرين يوماً وقد شريت قماش عال كثير لأجلها، فبينما انا ذات يوم جالِسٌ في الدكان واذا بها قد اقبلت ، فعندما رايتها خَمِدَتْ ناري الذي بقلبي، فسلمت عليها وانصرفت انا واياها الى القاعه، ثم جلسنا واكلنا وشربنا. فعاتبتها على انقطاعها وعدم وصول اخبارها اليَّ، فاعتذرت بعذر لا اقدر على ردِّه، فَقَبَّلْتُهَا وشكرتها عَلَى فِعْلها، ثم اقبلت عليَّ وقالت: «ايش قلت للجاريه؟»، فقلت: «يا ستي، ارحميني، فإني هالكٌ في محبتك!». قالت: «ما يكون إلاَّ خير، وبدل ما قلت للجارية كنت تقول لي، فاني كثير ما كنت أَتَرَجَّى مِنْكَ هَذَا (٣٢-أ-ظ) القول». فقلت: «يا ستي، ما قَدِرت أَتَهَجَّم على خدمتك بهذا الكلام، فاني ما اصلح ان اكون غلامك». ثم قالَتْ: «حَيْثُمَا رَضِيتَ، انا في غد اكلم ستي في ذلك وأُخَلِّيهَا تتخذ لنا الأمر». واكلنا وشربنا ولعبنا وضحكنا وبتنا ليلتنا إلى الصباح، ثم تَوَجَّهَتْ الى محلها وقلت لها: «لا تقطعي اخبارك عني». فغابت خمسة أيام وجاءت الى الدكان وقالت: «اسبقني الى القاعه»، ثم لحقتني ومعها بقجه وفيها بدلة قماش كامله. ثم قالت لي: «رُوح إِلى الحَمَّام وَتَنَظَّفْ والبس هذه البَدْلة عليك وتبخر تَعَطر»، واعطتني كيس فيه الف دينار وقالت: «خذ هذا في كمك واقْعُد في دكانك حتى أرسل وراك الخادم لتاتي

معه». قلت: «السمع والطاعه»، [فقالت:] «فاني قَدْ قُلْتُ لسيدتي فقالت لي: 'حتى أبصر. إن كان يصلح زوجناك به، والا تركناه'. وتعرف اني قد جعلتك عندها في غاية العظمه، وفي هذا الوقت تُرْسِل وراك».

قال الراوي

فلما سمعت كلاَمَها نهضت الى الحمام وفعلت كلما قالت لي عليه، فلم أَشْعُر (٣٢-ب-و) بعد ساعة الا وخادم قد اتى وَمَعَهُ جارية. فسلم الخادم عَلَيَّ وقال: «بسم الله»، فوهبته عشر دنانير، ففرح وَقُمْتُ معه إلى أَنْ وصلنا الى دار عظيمة البنا، فقال الخادم: «قف هُنَا»، فوقفت فغاب عني ساعة ثم حضر وقال لي: «امْشِي مع سلامة الله تعالى، وفي هذه الساعة ياتي لك الخبر بما يريده الله تعالى»، فخرجت من عندهم واتيت الى دُكانِي وجلست انتظر الجواب، فلم يأْتِنِي أَحَد، فاشتغل قلبي وقلت في نفسي: «لعلي ما اعْجَبْتُهم او ما رَضيوا بِي»، ثم بِتّ تلك الليلة في قَلَقٍ عَظِيم. فلما كان في الغد واذا بها قد اقبلَتْ وَسَلَّمَتْ وقالَتْ: «كيفَ انت؟». قُلْت: «الحمد لله بخير مَا دُمْت بعافية». ثم قلت[1] لها: «يا ستي، ما الذي كان من الأمر؟». قالت: «كل خيرٍ، إلاَّ أَنَّ والله يا سيدي ما قد رضيت ستي الا بالغصب، بعد شي كثير. فانهض في هذه الساعة وخذ سُكَّر ومِسْك وَمَاوَرْد وَعَنْبَر وَحَلْوَ[2] وَفَاكهة ونقل وَمَشْمُوم وغير ذلك لاجل كتب

(١) في المخطوط: «قالت».

(٢) في المخطوط: «وَحَلْوًا».

الكتاب وأَسْرِع في ذلك»، ثم تَوَجَّهت إلى محلها.

قال الراوي

فلما سمعت (٣٢-ب-ظ) ذلك يا امير المؤمنين طِرت فَرَحاً ونهضت اخذت جميع ما ذكرت واتيت به الى القاعه، فما استقر بي الجُلوس الا وقد حضروا جماعة من الخدام والمماليك وقد وكلت الست ام سيدي جعفر - اسعده الله - وكيلا، فَقُمْتُ واحضرت القاضي والشهود وقد حضرت في جماعة مِنَ النسآ. فلما كتب الكتاب نثرت الذهب والفِضَّة على من كان حاضرا ثم اخضرت لهم الطيب والمشموم والمشروب من السكر وغيره، فاكلوا وشربوا وطَابَ لَهُمْ الوَقْت ثم خرجوا الناس ولم اشعر الا والحمالين قد أتوا ومعهم من الة الفرش والنحاس والقماش وغير ذلك ما يزيد عن الوصف. ودخلت هي وجماعة من جانب ستها الى القاعة وجلسوا الى الليل وعملنا الوليمة وانصرف كل منهم الى حال سبيله واقمت انا واياها في اطيب عيش واهناه والذ معيشة. فلما كان في بعض الأيام طلبت الحمام فقلت: «السمع والطاعة»، ثم ارسلت الى الحمامي وامرته ان يخلي الحمام وان يوقد فيه الشموع، واحضرت السكر والماورد والند والعود وما يحتاجوه، وتَوَجَّهَتْ (٣٣و) إلى الحمام وخلفت جارية صغيرة في البيت. فلما خلوت بها وَسْوَسَ الشيطان فواقعتها فازلت بكارتها، فعلقت مني في الوقت والساعه. فلما كان بعد ذلك بثلاثة أشهر، ظهر حملها واصفر لونها وتغيرت حالتها، فَسَأَلَتْهَا سِتّهَا عن ذلك فانكرت، فمَدَّتْ [يدها] فضربتها فَاعْتَرَفَتْ بأن الذي فعل بها هو أنا في يوم الحمام، فعند ذلك أقبلت عليَّ

وقالت لي: «هذا جزآئي منك يا عماد الدين؟ اين محبتك وعشقك الذي تدَّعِيه وايمانك الذي حلفت بها ان عمرك ما تُوَاصِل غيري؟». فقلت لها: «يا ستي، كان الذي كان وظهر، كانٍ يخفى وما بَقِيَ الا عفوك وحلمك، والمملوك في رِقِّكي وأنا تائِب لوجه الله تعالى. فلا تؤاخذيني بسوء فعلي». فقالت: «لا بأس عليك»، وفَارَقْتهَا وتوجَّهْت الى الدكان، فلم اشعر يا أمير المؤمنين وَقْتَ العصر إلا والخادم قد جاء ومعه مِفْتَاح القاعة وقال لي: «يا سيدي، إن ستي قد توَجَّهَتْ الى بيت ستها ولم تأخذ لك شيء من حوايجك ولا من قماشك، ولم تاخذ غير حوايجها». فعندما سمعت هذا، يا أمير المومنين، اشتعلت النار في قلبي. وقد عجزت (٣٣ظ) وانا اكاتب وَأُراسِل واخضع واتذلل وَأسْألَهَا رد الجواب فلم تفعل ولا تَرِق لِشَكْواي. ثم ان انشد واقول شعر:

هــذه قِــصَّــتــي وَهَــذا بَــلاَئِــي
مـا جَـلَـبْـه أَحـد لِـقَـلْـبِـي سِـوَائِـي
قـد فَـنَـى الـصبـر والـتَّـجَـلُّـد مِـنِّـي
ثُـمَّ طَـالَـتْ بَـلِـيَّـتِـي وَعَـنَـائِـي».

قال الراوي

ثم [بكا] بكاءً شديداً لا مزيد عليه. فعند ذلك رَقَّ قلب الخليفة عليه وقال له: «أنا أضمن لك زوجتك يا فتى!»، ثم التفت الى جعفر وقال: «يا جعفر، احضر والدتك!»، فقال: «السمع والطاعة». فحضرت فقال لها الخليفة: «شَفِّعِينِي في عماد الدين وَرُدِّي له زَوْجَته»، فقالت: «يا امير المومنين، نحن

واروحنا واموالنا كلها خدم لك يا امير المومنين»، ثم خرجت من عنده وامرت الخدام ان يردوا ست الملاح الى عماد الدين الفقاعي وان يحمل ما كان معها من القماش والفرش والنحاس وغير ذلك، ففعلوا ذلك واجتمع عماد الدين بست الملاح ولم يزالوا في هنا وَسُرُور وفرح وحبور الى ان أَتَاهُم هادم اللذات وَمُفَرِّقُ الجماعات. والله من فضله نسأله ان يتوفَّنَا (٣٤و) مُسْلِمِين، والحمد لله رب العالمين.

حكاية الأصمعي[1] والخياط

حكي ان الاصمعي ضعف ضُعْفاً شديداً وطال به الضعف حتى عاده جميع الأصحاب وصار يَطْلُبُ من يحادثه ويسايره حتى ظفر برجل خياط اسمه عبد الله كان بجواره، وكان ذو[2] رأسةٍ وذوقٍ وفصاحةٍ، وكان يكثر التردد على الأصمعي ويسامره. فقال له الأصمعي يوماً من الأيَّام: «يا عبد الله، أُريدك اليوم تكون عندي تحدثني بـأعجب ما مرَّ بك في دهرك من الأعاجيب». فقال عبد الله الخياط: «حُبًّا وكرامة». فجلس عنده ذلك اليَوْم

---

(١) هو عبد الملك بن قُرَيب أبو سعيد الأصمعي، «صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح». إليه تنسب مؤلفات كثيرة، وتحدث عنه الكثير من الأدباء والعلماء والمؤرخين. من أهل البصرة. توفي سنة ٢١٢هـ أو ٢١٦ هـ. عاصر الخلفاء العباسيين من السفاح حتى المعتصم. روى الجاحظ قصصاً عنه وعدَّه من البخلاء في كتابه الشهير عن هذه الطبقة من البشر. للمزيد من المعلومات عنه يمكن الرجوع إلى «إنباه الرواة على أنباه النحاة»، للقفطي، طبعة بيروت، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثاني، ص ص ١٩٧-٢٠٥، فهناك ثبتٌ لكل المصادر التي تحدثت عنه.

(٢) في المخطوط: «ذُوا».

بِطَرَفَيْهِ، فبعد ان اكلوا وشربوا[1] أخذ يحدثه بأعجب ما مرَّ مِنَ الأمور العجيبة. فقال:

اعلم يا سيدي اني كنت في سنة كذا وكذا شديد الضيق مُفْلِساً ووقف في الحال وتفرَّقَتْ عَلَيَّ أصحابي وصبياني ونفر عني زُبُوني واحتجت الى بيع ثيابي لاجل قوتي. فبينما انا ذات يومٍ جالسٌ في دُكَّاني اذ شممت رايحةً (٣٤ظ) طيبة ومسك وعنبر، فالتفت انظر وإذا انا بشاب نظيف ظريفٍ حَسَن الوجه، عليه ثياب سود وراكبٌ على فرسٍ أَسْوَدَ. فتأَمَّلْتُه فاذا لونه مُتَغَيِّر وجسده ناحل. فسلم عَلَيَّ وهو كالمَذْهُول وقال لي: «من اين امشي الى باب الطاق؟». [2] فقلت له: «ها انت في وسطه. فما هذه الفكرة يا سيدي؟». فاستند إلى دكاني وبكا ثم قال لي: «بالله يا أخي اعْذُرني، فقد بَرَّحَ بي الهَوَى وقتلني الجوى، ولو عرفت امري لرثيت لحالي». فقلت: «يا سيدي، والله لو وجدت طريقاً لمساعدتك لبادرت إلى ما يَسُرُّ ناظرك وتشتفي علتك ولو كان فيه تلاف نفسي». فَأَنِسَ بي ووصف منزله فعرفته، ثم قال لي: «بالله عليك، اذا مرَّت بك أمرأة راكبة حِمَار وَمَعَهَا جارية

---

(١) «فبعد أن اكلوا وشربوا» على الهامش.

(٢) «باب الطاق: بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ونهر المعلى، منسوب إلى أسماء بنت المنصور، وكان طاقاً عظيماً، وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء أيام الرشيد (معجم البلدان ١/ ٤٤٥). أقول هذا الوصف ينطبق على محلة الصرافية التي يصلها جسر السكة الحديد بجانب الكرخ» (ملحوظة للمحقق عبود الشالجي في كتاب «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للقاضي المحسن التنوخي، بيروت، ١٩٩٥، الجزء الأول، ص ١٨٠).

فامشي قُدَّامَهَا وَدُلُّهَا على منزلي»، ثم انصرف. فما لبِثْتُ غير ساعةٍ وإذا بها قد اقبلت فقمت اليها وقلت لها: «اتبعيني يا ستي». فقالت الجارية: «انت صاحب الفتى؟». قُلْتُ: (٣٥و) «نعم»، فسرت بين يديها حتى وصلنا المنزل ففتحت الباب ودخلت، واذا هو جالس في الانتظار فقال: «من وراك؟». قلت: «ها هي، يا سيدي، قد حضرت». فعندما رَآهَا نهض إليها وَقَبَّلَ الأَرْض بين يديها، فقالت بلفظ احلا من السُّكر: «يا مولاي، لا تَفْعَل، انَّما السجود لله تعالى». فعانقها ودخل الى دار حسنة مفروشة بانواع الفُرش. ثم ناداني الفتى ودفع اليَّ مال كثير وقال: «اشتري لنا فاكهة ومشموم»، فمضيت واتيت بجميع ما طلبه من احسن ما يكون. فامر جاريَتَهُ باحضار مايدة، فجاءت بافخر الأطعمة فاكلنا ثم رفعت مايدة الطعام وقدِّمَتْ لنا مايدة الشراب. واحضرت الجارية عود فأخذته الصبية ولَزَّتْهُ الى صدرها وجَسَّتْهُ وضربت عليه وغَنَّتْ فوالله يا سيدي ما سمعت مثل ضربها وحسن غنايها وصوتها. ثم اقْبَلْتُ على مُنادمتها وَمُسَامَرَتِها فَضَحِكَتْ هي والشاب من كلامي ثم قالت: «والله يا سيدي ما رايت اطبع من هذا الشاب، فلا اعدمنا الله (٣٥ظ) شخصك». ثم أَمَرَتْ بتقديم الشَّرَاب فَقُدِّمَ، فلا زلنا نَلْعَب وَنَشْرَب الى قرب المَسَا، فقامت الصبية وقالت [له]: «يا سيدي، انت تعرف عُذْري وما لي اليك سبيل الا في كل سنة يوم واحد وهذا والله لا يَكْفِينا وَلاَ يَقْنَعنا». ثم تعانقا وبكيا وخرجنا الى ان ركبناها وانصرفت، فارتديت أنا لانصرافها ثم قال لي الشاب: «الى أين تروح؟ هل لك أَهْلٌ تَتَوَجَّه إليهم؟». فقلت: «لا والله،

ولا لي سَكَنٌ الا الدُّكَّان». فقال لي: «هذا منزلك وليس لي نديمٌ سواك». ثم دخلنا الدار وجلسنا نتحدث فقلت: «اريدك تُحَدِّثْني حديث هذه الصبية كيف حكايتك معها».

قال [الشاب]:

اخبرك اني كنت ذات يوم أَتَفَرَّجُ في الدَّجْله في ليلة مقمرة. وانا مارٌّ تحت العماير والطبقات اسمع الاغاني واذا انا بشختور مُنْحَدِرٌ ما فيه حِس ولا يظهر فيه أحد. فقلت للنوتي الذي انا في شَخْتُوره: «اقْذَف حتى نلحق هذا الشختور!» فلحقناه فوجدت النوتي الذي فيه عبد اسود كانه عفريت وهو يعالج هذه (٣٦و) الصبيه وهي سكرانه مطروحة في بَطْن المركب وهي تصارعه ولا تمكنه من نفسها. فلما رايت ذلك كان معي عمود حديد فضربته به على دماغه فوقع ميتا ونظرت الى الصبيه فرايت الى جانبها شاب مقتول، فعلمت ان العبد قتله لاجلها فارْمَيْتُهُ هو والعبد في البحر واخذت الصبية الى حُضْنِي. فلما احسست بي قالت: «ما الخبر؟»، فعرفتها القصه فقالت: «غرقوا هذا الشَّخْتُور ايضاً لِيَطْمئِن قَلْبي!»، فغرقناه وقلت للنوتي: «ارجع بنا الى المنزل». فرجع ثم وهبته شي من المال والقماش واشبعته العطا وقلت له: «اكتم ما رَأَيْتَ». فلما وصلنا الى منزلنا قلت لها: «حدثيني حديثك». قالت: «اعلم ان هذا المقتول كان سيدي، وهو من اكابر الكوفه وكان كريم الشمايل كثير المحبة لي وأنا احِبُّهُ كثيراً. فوصل خبري الى الخليفة الهادي[1] ووصفوني له فطلبني من

---

(١) وهو موسى الهادي، الخليفة الرابع من السلالة العباسية. كانت فترة ولايته =

سيدي، فقال لي: ’يا قرة عيني، ما تَرَي في هذا الأمر الشنيع ولا قدرة لي على مُفَارقتك؟‘. (٣٦ظ) فقلت: ’والله يا سيدي، لنا مُدَّة ما اعيش ما اختار سِوَاكَ‘. فقام ركبني فرس وَرَكِبَ فرس واخذني الى البريَّة. أقمنا شهراً نختفي من مكان الى مكان فتوسخ جِسْمِي وَشَرَى، فسالته الحمام فأدخلني ليلا الى حَمَّامِ الكوفة واتى الى صديق له أنزلنا عِنْدَهُ، فنَمَّ بنا بعض الحُسَّادِ إلى والي الكوفة وقالوا له: ’إن الجارية التي هرب بها سيدها من الخليفة ها هي في الحمام وسيدها معها‘، فجاء الوالي وقبض علينا واشتراني من سيدي بعشرة ألاف دينار وحملني الى الخليفة الهادي. فلما صرت عنده اشتد وجد مولاي عليٍّ وتغير وضعف حاله وأقام على ذلك سنة كاملة. واحَبَّنِي الخليفة مَحَبَّة عَظِيمَة، فسالته ان يجعل لي في كل سنة يوم اتفرج فيه لِقَلْبِي، فاجابني الى ذلك فخرجت لاتفرج فرايت سيدي الكُوفي وراني فَبَكَيْنَا ثم قال لي: ’انتي في الاحيا؟‘، فقلت: ’والله يا مولاي ما خرجت من حجرتي الا في هذه السَّاعة مِنْ يَوْم فارَقْتُكَ‘، ثم سِرْت مَعَهُ

= بين سنتي ١٦٩ و١٧٠ هـ («أقام فيها سنة وأشهراً»، على حدّ قول السيوطي). ومن المعروف أن خلافته - التي استولى عليها بعد وفاة والده المهدي - كانت قصيرة جداً بسبب قتله بتحريض من أمه الخيزران (وقيل من بين ما قيل إنها هي التي دسّت له السم)، مما أدّى إلى استيلاء الرشيد على الحكم. ويُفكِّهنا السيوطي نقلاً عن الخطيب البغدادي بقوله عنه إنه «كان يُسَمَّى موسى أَطبِقْ؛ لأن شفته العليا كانت تقلَّص، فكان أبوه وكَّل به في صغره خادماً كلَّما رآه مفتوح الفم قال: موسى أطبِقْ، فيُفيق على نفسه ويضم شفتيه، فشُهر بذلك» («تاريخ الخلفاء»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٤٦).

(٣٧و) حتى عرفت موضعه وبعثت له مال كثير وثياب وصرت أَتَفَقَّدَهُ في كل وقت. الى هذه الليلة خرجنا وركبنا في هذا الشختور الذي غرقتها وقَصْدَنا التَّنَزُّه فيها. ثم اكلنا وشربنا، فلما سَكِرْنَا لَعِبَتْ عين العبد عَلَيَّ. قَتَلَ سيدي وافْتَتَنَ بي، فَمَنَّ الله عَلَيَّ بِكَ حتى خلَّصتَنِي من يده وقد كان ما كان، فاستر امري».

فقلت: «والله يا ستي، وانا أشد عشقا مِنْهُ وَمَحَبَّة لَكِي، ولا اريد سِوَاكي». فلما كان وقت السَّحر وَدَّعَتْني وَمَضَتْ، فغابَتْ عَنِّي شَهْراً ثم أتاني رَسُولها بِهَدَايا وَتُحَفْ وَوَاعدنِي يوم في كل سنة، وهو هذا اليوم.

[قال الخياط]

ثم ان الشاب بعد ان فَرَغَ يحدثنِي بحديث الجارية أمر غلمانه ففرش لنا فرقدنا وبقيت عنده مدة لا يقارقني، فبينما [أنا] واياه جاءته ورقة مع خادم من عند الجارية فصار يقرأها ويضحك ثم ناولني الورقه فقراتها فإذا هي تسلم على الشاب وعليَّ وتقول لصاحبها 'لا تُفارقه' وارسلت لي بكسوة ونفقه وواعدتنا ان نجتمع (٣٧ظ) بها تلك الليلة في المكان الفلاني، فذهبت اخر النهار فوجدنا الجارية في انتظارنا فدخلنا فرايناها قد جهزت مقام كامل من كل شي، فأقمنا تلك الليلة والثانية في أرغد عيش ثم انتقلنا الى مجلسها.

قال الخياط

ثم ان الصبية قالت لي في الليلة الثالثة: «كيف ترى صبرك وقوة قلبك؟». فقلت لها: «يا ستي فوق ما تُحِبِّينَ. اعلمي اني أشجع من عنتر العبسي وأشد قوة من عمرو بن معدي كرب

الزبيدي واصلب من الحديد. اعلمني اني انا العَذَابُ الأَلِيم والشيطان الرجيم! كم من جيش زعزته، وكم[1] من جمع فرقته! املئي عينـ[ـيـ]ـك مني، وَأَسْالِيني عَمَّا شِئْت تَرَي ما يَسُرك!».[2] ثم قالت: «ما تقول، والعياذ بالله، إِذَا أَتانا امير المومِنِين الخليفة وهجم علينا؟ ما كنت تصنع؟». فقلت لها: «لو جا الخليفة هذه الساعة لضربته هو وجماعته واهل بغداد معهم. واقدر على انه لو ظفر بي بكثرة اعوانه وقَوِيَ عَلَيَّ وضربني الف أَلْفَ عصا ما باليت ولا انجزعت منه». فضحكت من كلامي وقالت: (٣٨و) «لا اعدمني الله إِيَّاكَ يا فَارِسِ الخيل». ثُمَّ تَنَادَمْنَا إلى ان راق الليل وتناشدنا الاشعار ونحن في اطيب عيش وما يكون من الانشراح، واذا بالجوار في جلبة عَظِيمَةٍ وَهُمْ يَتَحَادثون وَيَقُولُونَ: «جا الخليفه! جا الخليفه!». فما شعرنا الا وهو داخل.

قال [الخياط]

فَنَهَضَت الصَّبيَّة فَتَلَقَّتْهُ وامرت جوارها أن يخبونا. فأدخلوني ورآ الستاره، فدخلت ورُكْبتاي ما تَحْمِلْنِي مِنَ الارتعاد والفزع. ثم أدخلوا الفتى ورآ ستارة أُخْرَى، فنظرت من ورآء الستارة واذا بأمير المومنين الهادي وبين يديه الجوار فتلقته الجارية صاحبة الشاب وقبلت الأرض بين يديه ثم اخذت يده وقَبَّلَتْهَا. فقال لها

---

(١) في المخطوط: «لم». وفي «عينـ[ـيـ]ـك» فات الناسخ أن يضع النقطتين تحت الياء الثانية.

(٢) على الهامش سُجِّلَ «مَيُسرّك»، وكأنها من الأصل الذي كان ينقل عنه الناسخ.

أمير المومنين: «مَنْ عِنْدَك يا قُرَّة العَيْن وروحي التي بين الجنبين؟». فقالت له: «ما عندي غير ذكرك وهَوَاكَ في فؤادي مقيم. واني منتظرة الى نقل خطواتك الشريفة إلى أقل جوارك لأحظي بخدمتك ويعلو[1] بذلك قدري». فقال لها: «من هذا الذي ورآء الستاره؟ فإني أراها تَتَحَرَّكْ (٣٨ظ) ولَيْسَ هُنَا ريح يحركها». وما حركة الستارة الا مِن نافض لشدة خَوْفي.

قال الخياط

فلما سمعت ذلك جريت بطني عَلَيَّ حتى مَلأْت ثيابي ولباسي. فنظر الخادم فراني خلف الستارة وقد غشي عَلَيَّ وقال: «ما هنا أحد يا مَوْلاي»، فسكت أمير المؤمنين الهادي ثم استدعى بالشراب فتناول اقداحاً ثم قال: «يا قُرَّة عَيْنِي، اني أشم رايحة خبيثة!». قالت: «صدق أمير المومنين وأنا والله اشم ذلك». ثم أمرت الجوار باحضار المَجَامِر واطلقت البُخور والعَنْبر، فما اغنى ذلك شيئاً، وغلبت الرايحة على ذلك البُخُور. فقال الخليفة: «ارفعوا تلك الستارة، فإن الرايحة تاتي منها».

فقال الخياط

راحت روحي ثم دارت عليَّ بطني بزياده حتى مَلأَتْ المَحَلّ. ثم انهم رفعوا الستاره فنظرني أمير المؤمنين فقال: «ويلك! من انت؟ وَمَنْ اتى بك الى هذا المكان؟». فقلت: «يا مولانا، ما انا غريم، انما انا خديم واحتالوا عَلَيَّ حتى أَدْخَلُوني في زي حمال». فقال [الخليفة]: «خذوه غَسِّلُوهْ من هذه الحاله

---

(١) في المخطوط: «يَعْلُوا»

وعيدوه اليَّ واحضروا السِّياط حتى انظر كيف امره».

[قال الراوي][1]

(٣٩و) فاتوا به الى الخَلاَ فَغَسَّلُوهُ وَنَظَّفُوهُ واوقفوه. قال [الخليفة]: «عَرُّوهُ!»، فَعَرُّوهُ ومسكوا يديه ورجليه وقال للخادم: «اضْرِبْهُ وقل له: 'يا خنزير، ما سبب دخولك الى قصري وَتَهَجُّمكَ على حريمي؟'». فشال الخادم يده فما ضربه غير سوطٍ واحد حتى صاح. فقال [الخادم]: «قل الحق! من انت ومن تكون؟». قال: «انا رجل خياط وما لي ذنب!».

قال [الراوي]

فأتت الصبية الى اذنه وقالت: «اين ما وعدتنا به من شجاعتك وقوتك وَصَبْرِكَ وشدة باسِكَ؟ الله الله، لا تَفْضِحْنَا واصبر عَلَى الضرب!». فقال لها: «روحي في حالك ودعيني من قولك! أنا ما عندي اعز من روحي! الموت اهون عَلَيَّ مما أنا فيه!». فقال الخليفة: «تَنَحِّي عنه»، و قال: «اضرب!»، فضربه بالسياط ثانية فصاح وقال: «اموت! ارحمني[2] لوجه الله تعالى!». فقال له: «كيف تجريْتَ على قصري وحدك؟». فقال: «معي صاحبي وهو خلف الستارة». فامر الجارية برفع تلك الستاره فَكُشِفَتْ واذا بالفتى جالس فطلبه الخليفة فقام وتقدم وسلم بسلام الخادم. فقال له: «ويلك! مَا جاءَ بِكَ (٣٩ظ) الى قصري وما اجراك عَلَيَّ؟». فقال الشاب: «وحق تربة ضَمَّت

---

(١) هنا ينتقل الحديث، دون أية إشارة، من الخياط إلى السارد الذي لا يشارك في الأحداث، فارتأينا أن نضيف ما بين العضادتين.

(٢) في المخطوط «ارحميني»، وقبلها، مشطوب، «ارحموني».

أَعْضَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لقصرك بقصد خيانة ولا شي فيه شُبْهَة ولا ريبة. وما كنت لأخون ابن عم المصطفى، وانما بعت جارية وأنا مشغوف بها وبحبها وَوُصفَتْ لي أَنَّهَا في قصر امير المؤمنين، فاحببت ان تراها عيني قبل موتي. فركبت الأهوال اتكالاً على عفوك يا أمير المومنين، وَقُلْتُ: 'لعلي انظرها نظرة واحدة وينكشف عليَّ هذا الحال'. فظننت أتعاهد هذه الجارية فلم تَكُ هي، فتحايلت في الدخول واردت الخروج فلم أقدر. ووالله يا أمير المؤمنين لو كانت جاريتي بعينها ما اتيتها بِرِيْبَةٍ». فأطرق الخليفة الى الارض ثم ان الصبية مدت يدها الى العمامة[1] ونزعتها، وإذا بها جارية من جوارها وقد جعلت ذلك حيلة عليـ[ـهم]![2]

قال الخياط

فلما علمت ان ذلك حيلةً عَلَيَّ استحييت وخجلت وَنَدِمْت على ما كان مِنِّي وتكلمت به. ثم قالت: «وَيْحك يا خياط! اين ما وَصَفْتَ به نفسك من قوة القلب وشدة الباس؟». فقلت: (٤٠و) «يا ستي، العذر واضح والكريم مُسَامح. واني رجل عامّي وعمري ما خاطَبْتُ الخليفة ولا وقفت بين يديه ولا ضربت بسياطٍ». ثم اقبلت على صاحبي وقالت: «والله لقد تكلمت فاحسنت، واحملت فيما به نطقت، ومِثْلُكَ من يتخذ خليلا ومُصَاحبا ظريفاً». ثم لما نظرت الى مكاني الذي كنت فيه –

---

(١) أي: عمامة الخليفة.

(٢) في المخطوط: «عَلَيَّ»، وكأن هناك تردداً مستمراً بالنسبة إلى من هو المتحدّث. وفي السطر التالي يستعيد الخياط الحديث.

وهو بتلك الحالة الخبيثة - [و]قالت لي: «هكذا تفعل؟». فخجلت منها واستحييت، فَضَحِكَتْ مني هي وجوارها وقالت: «بالله يا سيدي، لا تتألَّم من كلامي، فإنِّي احِبُّ كلامك وَمُباسَطَتكَ وَمَزْحك، وقد حصل منك ما حصل وهي جارية من جواري، فكيف لو كان الخليفة الهادي[1] الذي ذلت لسطوته الجبابرة؟». قلت:[2] «كنت أَمُوت!». فقالت هي: «بل كنت انا اموت قبلك من هيبته. فطب نفساً وقر عيناً»، ثم انها خلعت عَلَيَّ لبسا جديدا ووهَبَتْ للفتى صاحبها حق فيه جَوَاهِر وبلخش وياقوت وكيس فيه الف دينار. ثم قالت لنا: «انْصَرِفُوا بسلام واني في كل شَهْرٍ اطلبكما الى عندي مرة»، (٤٠ظ) ثم أَخَذَنا الخادم واخرجنا الى خارج [القصر]، فأقمنا على ذلك زمناً طَوِيلا إِلَى أَنْ مات الهادي[3] رَحِمَهُ الله، ثم وَلِيَ الخلافة هارون الرشيد

---

(١) في المخطوط: «المهدي»، ثم يتكرر هذا التردد. ومحمد المهدي، ثالث خلفاء بني العباس، كان أبا الهادي والرشيد، وحكم من ١٥٨ هـ إلى ١٦٩هـ. وغالب الظن أن التردد نتيجة للشبه بين رسم الاسمين «الهادي» و«المهدي». والأرجح أن يكون الأصل فعلاً يتحدث عن الهادي، رغم أن أباه المهدي اشتهر أكثر بالمهابة والقوة. راجع كذلك ما يقصه الإتليدي عن انغرام الهادي بجارية تسمى «غادر»، وخوفه من احتمالية تعلقها بأخيه هارون من بعده (وهذا ما حدث أخيراً)، مما يدل على تداول حكايات حول ارتباط كلا الأخوين بجواري بعضهما البعض، أو على الأقل ارتباط الأخ الأصغر هارون بجواري الأخ الأكبر الهادي. راجع: «نوادر الخلفاء»، تحقيق أيمن عبد الجابر بحيري، القاهرة، ١٩٩٨، ص ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) في المخطوط: «قال».

(٣) في المخطوط: «المهدي».

فلم نعرف للجارية بعد ذلك خبراً ولا اثراً.

قال الأَصْمَعِي

فلما تعافيت من مرضي الذي كُنْتُ بِهِ أَتَيْتُ الى دار الخلافة وَسَلَّمت على مسرور الخادم وقلت له: «إذا رَأَيْتَ مجلس امير المؤمنين خالياً ووجهه مقبلاً ضاحكا فَعَرِّفْهُ بأن[1] له عندي خبر ظريف».

قال [الأصمعي]:

فَمَضَى مَسْرُورْ وَعَرَّفَ الخَلِيفَة بذلك، فَطَلَبَنِي. فَلَمَّا دخلت عليه سلمت بسلام الخلافة وجلست. فقال: «يا أصمعي، هات ما عندك»، فاقبلت أُحَدِّثُهُ اولا بحالي وما قَاسَيْت في مَرَضِي، ثم اخذت احدثه بحديث الخياط، وما وقع لَهُ من اوله الى اخره، وهو يتعَجَّب وامر بإحضار الخياط، فلما مُثِّلَ بين يديه وسأله عما وقع له فأحكى لَهُ بما جرى ثم قال له هارون الرشيد: «ويلك لما فعلت في ثيابك ذلك الفعل القبيح!». فقال: «يا مولانا، هيبة الخليفة (٤١و) عظيمة وَلَسْتُ اعود أَبَداً». فضحك الرشيد وقال له: «هل علمت ان بينهما ريبة قط؟». قال: «لا والله يا امير المومنين ما كان بينهما ريبة ولا خيانة ابداً، وما كنت افارقهم طرفة عين». قال: «اذا رايت الجارية تعرفها؟». [فقال الخياط]:[2] «ها هي يا امير المومنين». قال لها: «يا قرة العين،

---

(١) في المخطوط: «بي ان».

(٢) في المخطوط: «فَقُلْت». وهذا التردد بين الغائب والمتكلم كثير حدوثه في الرواية.

اين حبيبك؟». قالت: «يا مولاي، ما لي حبيب الا خدمتي امير المؤمنين، أطال الله عمره». فقال لها: «إن الخَيَّاط قد اعلمنا بالقِصَّة، ولا بد ان تعرفيني منزل هذا الشاب». قالت: «انه ساكن في موضع كذا وكذا». فَأَمَرَ الرشيد باحضاره، فلما حضر ورَآه تَرَدَّدَ نكره وقال: «يا أصمعي، ما تقول في هذا؟». قلت: «يا امير المومنين، العفو عند المقدرة». قال: «قد وهبتها له بجميع ما تملك وقد أَمَرْتُ لك والخياط بالفيْ دينار».

قال الأصمعي

فما رايت ولا سمعت مثل هذه الحيلة الَّتِي وَقَعَتْ مِنَ الجارِيَة على الخياط والشاب، واسْتِخْفافِ عُقُولِهِمْ، ولا رَأَيت اكرم ولا أَحْلم مِنْ هارون الرشيد، تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنته بمنه[1] وكرمه. امين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) في المخطوط: «بمكنه».

حكاية الجاريه قوت القلوب والست زبيده[1]

(٤١ظ) يحكي انه كان في زمن الخليفة هارون الرشيد رجل بدوي يقال له بلخ الطائي وكان قد كسب جارية - من بلاد يقال لها بلاد الخط[2] - ما رَأَت الناس في ذلك الزَّمَان أَحْسَن وَجْهاً منها، كانها غُصْنُ بان او قضيب خيزَرَان. وكانت اسْمُها قُوتُ القُلُوب، فَلَمَّا جَاءَ بها البدوي وَعَرَف ما هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الحُسْن والجمال والقَدّ والاعْتِدَال قال البدوي: «والله ما تصلح هذه الجارية إلاَّ لأَمِيرَ المُؤمِنِين هَارُون الرشِيد».

قال [الراوي]

فبقيت الجارية عند ذاك البدوي مدة من الزمان يغذيها

---

(١) قارن هذه القصة بـ«خبر القاسم بن عبد الله البصري وجاريته قُبلة مع الوزير الفضل ابن يحيى بن خالد البرمكي - رضي الله عنه»، الواردة في كتاب «أخبار البرامكة» (تحقيق جليل العطية، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦، ص ص ٢٢٤-٢٤١)، وكذلك بقصة «غانم ابن التاجر أبي أيوب المتيم السلوب»، الواردة في كل الطعات المتداولة لألف ليلة وليلة المعتمدة على طبعتَي بولاق وكلكتا الثانية، الليالي ٣٦-٤٤. والست زبيدة بنت جعفر (ت ٢١٦ هـ)، زوجة الخليفة هارون الرشيد، أم الخليفة محمد الأمين، صاحبة النفوذ والتأثير، أشهر من أن يعرّف بها.

(٢) مكان عرف الجغرافيون العرب أنه يقع على شرق بلاد الهند.

بأَحْسَن الغذا والشراب حتى استَرَاحَتْ من السفر. ثم بَعْدَ ذلك أَخَذَهَا البدوي وأتى بها الى قَصْرِ الخليفة[1] وقرع الباب، فخرج اليه الخادم وقال: «ما الَّذي تريد؟». فقال: «النصيحة لأمير المومنين»، فرجع الخادم وقال: «يا مولاي، رَجُل بدوي واقف وَمَعَه نصيحة لكم»، فأمر الخليفة باحضاره، فلما حضر لديه سلم وترجم. قال: «يا أمير المؤمنين، عندي جارية ما تصلح إلا لك، ولكن ما أَبِيعَهَا (٤٢و) إلاَّ لمن يزن ثنمها بالميزان ولا يُبْصِرهَا». فقال جعفر للبدوي: «احد يشتري سمك في بحر؟». قال: «نعم». فقال له امير المومنينَ: «بكم جاريتك؟». قال: «بالف دينار وخَلْعَة». فقال جعفر: «يا بدوي، جاريتك تُسَاوِي الف دينارٍ!؟». فغضب البَدَوِي وَهَمَّ بالانصراف. قال الخليفه: «يا جَعْفَر، اوزن له الف دينارٍ وخلعه»، فوزنها له وخلع عليه ثم ان البدوي راح الى بيته ومعه جعفر ليَتَسَلم الجارية. فلما وصل الى منزله قال: «يا قُوت القُلوب، قد بعتك لامير المؤمنين هارون الرشيد وقد جاء جعفر لياخذك اليه». قالت: «سَمْعاً وطاعة»، وَنَهضَتْ قايمَةً والْتَفَّتْ بمَلْحَفَة من الحرير الأحمر وارخب النقاب على محاسهنا وخرجت ويدها في يد البدوي. فلما وصلت إلى عند جعفر سَلَّمَتْ عليه بأحسن سلام. فتعجب حعفر من فصاحتها وعذوبة لفظها. ثم قدم لها بغلة فركبت وسارت هي وجعفر طالبين امير المؤمنين، ورجع البدوي إلى مَنْزِلِهِ[2] ندمان

---

(١) قبل هذا: «إلى الخليفة»، مشطوب.

(٢) لاحظ التناقض في الرواية: يقال أولاً إن البدوي ذهب إلى بيته مع جعفر =

على ما فَرّط فيها، وبقيَ متفكر لاجل قُوت القُلُوب. (٤٢ظ)
فلما جن الليل ضاق صَدْرُه وقل صبره وانشا يَقُول شعر:

قالت الغانياتِ لَمَّا الْتَقَيْنَا:
'ايُّهَا البَيْن كنت عَيْناً عَلَيْنَا
فاجْتَمَعْنَا وَمَا شفينا غَلِيلاً
وَافْتَرَقْنَا كأَنَّنا ما الْتَقَيْنَا'
لَيْتَ شِعْرِي لما قَضَى الله غَدا
أَيُّ ذَنْبٍ في ذا الهَوَى قد جَنَيْنَا؟

قال الراوي

واما ما كان من الجارية قوت القُلُوب، فأوصلها جعفر إلى امير المؤمنين فسَلَّمَتْ سَلام الخُلَفَا، فتعجب الخليفه من ذلك وقال: «يا جعفر، هذه الجارية اخذناها بلاش!». فقال جعفر: «يا أمير المؤمنين، من محبتك في الملاح تقول هذا الكلام». ثم ان الخليفة سَلَّمَهَا لخُدَّام القَصْرِ صافي وريحان [وقال:] «اسكنوا هذه الجارية في المقصورة الارجوانية في موضع الجارية النَّحْوِيَّة، وَسَلِّمُوهَا قماشها وحُلِيَّهَا»، ففعلوا ذلك وادخلوها الحمام والبسوها الثياب الفاخرة واجلسوها[1] على سرير من الذهب، ففرحت الجارية واستراحت وصارت في اكل وَشُرْبٍ ولذة وطرب مدة عشرة ايام.

= ليتسلم هذا الأخير الجارية، وفيما بعد يجعل السرد البدوي عائداً إلى منزله.

(١) وقبل هذا، مشطوب: «واجلوها».

قال [الراوي]

فوصل الخبر الى الست زبيده، فغارت (٤٣و) غيرة عظيمة. واما امير المؤمنين فانه ركب الى الصَّيْد والقَنَص حتى يتشاغل عَنِ الجاريَة، ثم أَخَذَ مَعَهُ مؤونة شهر كامل.

قال صاحب الحديث

فلما سَمِعَت الست زبيده بِحُسْنها وجمالها وَعَلِمَتْ بذهاب أمير المؤمنين، جمعت داياتها وَقالَتْ لَهُنَّ: «اعلمن أَنَّ امير المؤمنين مُغْرَم بالملاح وقد جاءت له جارية تُسَمَّى قُوت القُلُوب التي هي كاسمها، وقد ذَهَبَ الى الصَّيْدِ والقنص ليَتَشَاغل عنها. فاذا وصل أَخْشَى أَنْ يواقِعَهَا فَتَحْمِلُ مِنْهُ بولد ذكر ياخذ المُلْك بعده ونبقى جوارها وهي ستنا». فقالوا الدايات للست زبيده: «ما الذي تريدين؟». قالت: «قوموا بنا الى عندها حتى نُدَبِّر عليها حيلة ونستريح منها ونبعدها عنا، واذا رايتموني العب الشطرنج انا واياها اقول لكم: ’وجعني قلبي!‘ ائتوني بقدح شراب، فاذا شربت منه اقول لكم: ’اسقوا اختي قُوت القُلُوب‘، فاذا ناولتوها القدح الشراب غافلوها وارموا فيه قرص بنج، فاذا شربته سكرت، فتدبروا معها (٤٣ظ) تدبير يكون فيه بُعْدَها عنا». فقالوا الدايات للست زبيده: «سَمْعاً وَطَاعة». ثم انها قامَتْ واخذت داياتها وجعلن يرفعن اذيالها بحوالِين الذَّهَب والفِضَّة حتى دخلت الدهليز، فسبقت جارية واتت الى قوت القلوب واعلمتها بقدوم الست زبيده، فقامت قوت القلوب وتلقت الست زبيده، فقالت الست زبيده: «سبحان من خلقك وَصَوَّرك في هذا الحُسن»، فباست قوت القلوب يدها وقالت: «يا ست، انَّما هذا وصفك،

وانا مِنْ بَعْض جوارك»، ثم مشت بين يديها حتى دخلت الى مقصورتها ثم جلسوا وجعلوا يتحادثوا ويلعبوا بالشطرنج والجوار واقفات قُدَّامَهَا حتى تَعِبَت الست زبيده من اللَّعْبِ فمسكت يدها على فوادها ثم قالت: «يا دايتي، قد وجعني قلبي! اسقيني قدح شراب»، فجات لها بقدح شَرَاب فشربت وقالت: «يا دايه، اسقي اختي قوت القلوب»، فجات لها الداية بقدح شراب ورمت فيه فصّ بنج وناولته لقوت القلوب فشربت. فلما (٤٤و) استقر في بَطْنِها رَمَتْ بِرَأْسِهَا في الأَرض فقالت السِّت زبيده: «لفوها في ملحفه واطلبوا صَافي وَرَيْحَان». فلما حضروا بين يديها قالت لَهُمَا: «اريدكما أن تَحْمِلاَ هذه الجارية إِلىَ سوق الجوار وَسَلمُوها الى الدَّلاَّل واي شي سويت بيعوها به وَتَصَدَّقُوا بثمنه على الفقرا والمَسَاكِين ولا تردوها إِلىَ عندي، اضرب أَعْنَاقَكُمَا». فقالوا: «السَّمع والطَّاعَه»، وحملوا الجارية الى سُوق الجوار ببغداد وسَلمُوهَا لعريف الدَّلاَّلِين وقالوا: «ستنا زبيده تأمرك ببيع هذه الجارية ومهما سويت بيعها به وَتَصَدَّق بثمنها على الفقرا والمَسَاكِين»، فَأَخَذَهَا المُنَادِي وكشف عن وَجْهِهَا فعرف انها سكرانه وان زبيده غارت منها وعملت على بُعْدها عنها. فقال الدلال للخادم: «كيف يباع المَوْتَى؟». فقالوا: «بيع بلا فُضُول!»، وَضَرَبُوه إِلى أَنْ أَوْجَعُوهُ بالضرب فَصَاح فاجتمعوا الناس عليهم وجعلوا ينظرون الى وَجْه قوت القُلُوب، فنادى عليها الدلال فسويت الف دينار واذا بشاب مليح الوجه مُعْتَدِل القَدّ (٤٤ظ) قد وقف عليها ومعه اصحابه رجال تجار. فلما راها أعجبته فدفع فيها الفين دينار، فقال له الدلال: «قَدْ بِعْتُكَ»، فوزن

الشاب الذهب وتسلم الجارية وهي سكرانه وحملها الى مركبه في الدجله، وكان على سفر [و]قد هَيَّأَ مِنَ الزاد الخبز واللَّحْم والدَّجَاج، فَأَكَلُوا وَشرِبُوا إلى أَنْ وصل الى وَسَطِ البحر. لعبت المركب من كثرة الموج فَحَسَّتْ الجارية قُوت القُلُوب بذلك فتقايَتْ ما في جوفها فَصَحَتْ على نفسها ورأت رَوْحَهَا في مركب وليس هي ببغداد. وابصرت الشاب عندها بجانبها فقالت له: «انت شريتني؟». قال: «نعم». قالت: «بكم؟». قال: «بالفين دينار». فسكتت وسار المركب حتى وصل الى البصره ونزل في داره وكان عنده بُسْتان في داره فيه من جميع الازهار والأثمار. فنزل الشاب واخذ بيد جارِيَتِهِ وَعَرَضها على أُمّه فقالت: «ما هذه يا ولدي؟». قال: «هذه جاريتي، اشتريْتها بالفين دينار». فقالت ام الولد: «ما تساوي غير الف دينار». فلما سمعت قُوت القلوب هذا الكلام غشي عليها، فلما افاقت قالت: «نزلت الى الدرجات الواطية (٤٥و) بعد الدرجات العالِيَهْ».

قال [الراوي]

فبقيت الجارية عند الشاب مدة أَيام ولم يعرف انها جارية الخليفه. هذا ما جرى لِقُوت القُلُوب. وأَمَّا الست ربيده فانها لما علمت بقوت القُلُوب انها بَعُدَت عنها جَمَعت البَنَّايين وَعَمَلَتْ في جنب الدار تُرْبَة مليحة وذَهَّبَتْهَا وَنَقَشتها بساير الألوان ثم اخذت خشبة مِنَ السَّاج وَلَفَّتْهَا في سبع شقق حرير ودفنتها في التربه بعد ان طيبتها بالمِسْكِ والكَافُور. وَأَمَّا ما كان من أمير المؤمِنِين فانه اشتاق الى قُوت القُلُوب فرجع الى بغداد. فلما قرب منها لاقته البرامكه، فقال له جعفر: «أَحْسَن الله عَزَاكَ في قوت القُلُوب».

فلما سمع امير المومنين ذلك خَرَّ مَغْشِيًا عليه ساعة، ثم أفاق فانهزت البرامكه خَوْفاً مِنْهُ لايضرب[1] أَعْنَاقَهُم! فلما وصل هارون الرشيد إلى دار الخلافه سأل مملوك صغير وقال: «اين دفنوا قُوت القُلُوب؟». قال: «يا سيدي في جنب الدار»، ثم سارَ قُدَّامَه الى التربة فوقف الخلِيفة عَلَى القَبْر وَجَعَل يَبْكي حتى ظَنُّوا (٤٥ظ) الناس ان الخليفة يموت من شِدَّة بكايه، فَبَقِيَ على تلك الحالة مدة شهر لا يقر له قرار ولا يدخل عليه أحد ولا يكلمه احد، فندمت السِّت زبيده على ما فعلت وَخَافَتْ عليه مِنَ الهَلاَك. فاتفق ان الخليفة كان في بعض الايام جالس على القبر يبكي وعنده جارية صغيرة ومملوك صغير يلعبون، فوكز المملوك على الجارية فوقعت على القبر فنهرهم الخليفه وَلَعَنَهُم وقال: «ما تَرُوحُوا بَعِيد عن قبر سَيِّدَتِكُما!».[2] فقالت الجارية: «يا سيدي، وقوعنا على القبر لا يَضُرُّ مَنْ فيه ولا تنكسر لها رجل ولا يسيل لها دم». فقال الخليفة: «ما معنى هذا الكلام؟». فقالت: «يا سيدي، قوت القلوب ما هي هنا!». فقال لها: «اخبريني عنها». فقالت: «اخاف يا سيدي من سيدتي الست زبيده، ولكن اريد الامان». قال الخليفة: «إنَّ الله قد أمنك يا جارية«. قالت: «يا سيدي، قوت القلوب لعبت هي وسِتِّي زبيده الشطرنج واسقتها مُرَقد وأسكرتها وطلبت خدام الدار صافي وريحان وَأَعْطَتْهُمُ

---

(١) كذا في المخطوط. وأبقينا الجملة على ما هي لأنها مفهومة وقد يكون لهذه البنية مغزاها.

(٢) بدايةً كتب الناسخ «سيدتكم»، ثم أضاف ألف التثنية.

الجاريه وقالت لهم: 'بيعوها وفَرِّقُوا ثمنها على الفقرا والمساكين، (٤٦و) ففعلوا بها الخُدَّام ما امرتهم به من البيع وتفرقة الثمن. وما في هذا القبر الا خشبه ساج مدهونة ملفوفة في سبع شقق حرير». فلما سَمِع هارون قول الجارية أرسل الى جعفر وجمع البرامكه، فعندها وقفوا بين يديه هنوه بالعافيه وقالوا له: «يا امير المومنين، الدنيا دار فنا ولا بها لِأَحَدٍ بقا». قال: «يا جعفر، اريد الساعة قوت القلوب وبغية المطلوب، والا فارقت روحي جسدي!». فقال جعفر: «هل رايت مَيِّت عاش؟». قال: «اسكت يا جعفر!»، ثم أمر الخليفه بحفر القبر واخرج منه خشبة ملفوفة وملونات الحرير، ثم امر بنزع الحرير الا شقه واحدة ثم قال أمير المؤمنين للبرامكه: «ما تقولون في الميّت بعد شهر؟ كيف يكون حاله؟»، فقالوا: «يجيف ويَنْتَنْ وتتفرق[1] أَوْصَاله». فقال لهم: «شُمُّوا رايحة هذا ما اطيبها»، فقالوا له: «نعم». ثم أمر بقلع الشقة الحرير واذا بها خشبه ساج مطروحه بينهم. فلما رات البرامكه ذلك ماتوا من الخوف والفزع وقالوا في نفوسهم: «ان امير المومنين يظن انا فَعَلْنَا ذلك في غيابه»، ثم ان الخليفة حَدَّثَهُم بِما فعلته الست زبيده ثم انه استدعى بالخادمين صافي وريحان وقال لهم: «اين ستكم قُوت القُلُوب؟». فقالوا (٤٦ظ): «ماتت»، فأمر بضربهم فَأَقَرُّوا بما وَقَع واتفق وما فعلته الست زبيده من بيعها وتفرقة ثمنها على الفقرا والمساكين. فلما سمع الخليفة ذلك قال: «عليَّ بعريف سوق الجوار»، واحضروه بين

---

(١) في المخطوط: «تنفرق».

يديه. قال له: «لمن بِعْتَ الجارية السكرانه؟». قال: «يا امير المومنين بعتها لشاب يسمى طاهر البصري بالفين دينار»، فقال الخليفه: «سر بنا يا جعفر في هذه الليلة حتى لا يعلم بنا أحد»، واخذ معه خواصه وسيف نقمته(١) وركب هو واياهم وساروا في الدجلة فلم يزالوا حتى طلعت الشمس وإذا هم بالبصره ونزلوا في بعض البساتين فسمعوا صوت رباب وعود وصوت غنى فقال الخليفة: «يا جعفر،(٢) إني اسمع غنى جاريتي قوت القلوب في هذا البستان، فدق بابه». فدق جَعْفَر باب الشاب فخرج اليهم غُلَام صبيح الوَجْه ففتح الباب وقال: «ادخُلُوا يا موالي. هذا بُسْتان سَيِّدِي وانه يُحِبُّ الضيوف، وَذو عَقْلٍ وَكرم مَوْصوف، وعنده جارية تُسَمَّى قوت القلوب بوجه كَالْهِلَال وَعَين كعين الغزال، تضرب بالعود اربعة عشر طريقه ولها عشرون دوابَة(٣) وبين كفيها(٤) هلال مِنَ الجوهر وقد حازت كل الملاحة والظرافه». فلَمَّا (٤٧و) سمع هَارُون الرشيد ذلك الكلام فاضت عيناه بالدُّموع وقال للغلام: «ارجع واطلب مولاك حتى يعزم علينا بِنَفْسِهِ، فإنا ضيوف قادمين عليه».

قال [الراوي]

فَعَبر الغلام وقَبَّل يد مَوْلَاهُ وقال: «يا مولاي، على باب

(١) أي خادمه مسرور، الذي كان يعرف هكذا.
(٢) «يا جعفر» على الهامش.
(٣) كلمة مكرَّرة.
(٤) كلمة لم نتبينها، وما أُثبت من باب الترجيح.

البستان رجال كانَّهُن[1] الاقمار»، فخرج[2] الَيْهم فسلم عليهم وقال لهم: «ادخلوا بسم الله، فان المكان فسيح والموضع لكم مليح وعندي كلما تريدون». فلما سمع امير المومنين حُسن كلام الشاب دَخَلُوا الى البستان ولم يزالوا سايرين الى ان اوقفهم على بركة وشاذِرْوَان، فجلسوا وشَرِبُوا[3] مِنْهَا وطلع الشاب يُدَبِّر امره وكان عنده جماعة من اصحابه يشربون المدام، فقال لهم: «قد وَرَد علينا ضيوف كرام واريد منكم الآن تنصرفوا وتتركوني إلى خدمة هذه[4] الضيوف». فتركُوهُ وَمَضَوْا الى حَالِ سبيلِهِم. ثم ان الشاب مَضَى الى عند قوت القُلُوب وقال: «يا سيدتي، قد جاوني ضيوف واظنهم اكابر وَمَعَهُم رجل طويل كانه القمر واخر صاحب كرسي كبير»، فقالت الجارية: «اين هم؟». قال: (٤٧ظ) «جالسين على البركه». فنظرت اليهم مِنَ الطاق فعرفت الخليفه وَجَعْفَر فقالت للشاب: «هَلْ مُت قط؟». قال: «لا». قالت: «هل صلِبْتَ في عمرك؟». قال: «لا». قالت: «إن كُنْتَ نايماً فاستفِق! ما تدري من هو في بُسْتَانِكَ؟». قال: «لا». قالت: «هذا أمير المؤمنين هارون الرشيد والوزير جعفر». فلما سمع الغلام كلام الجارية فَزِعَ فَزَعاً عظيما وقال: «يا ستي، دَبِّرِينِي

---

(١) ليست هذه الصيغة سهواً بل محاكاة مقصودة للكلام الدارج.

(٢) في المخطوط: «فاخرج»، كأنها من كلام الغلام، ويستبعد أن تكون كذلك، إلا إذا كان قد سقط شيء ما بعدها.

(٣) بين هاتين الكلمتين جملة مشطوبة تتكرر فيما بعد هي: «المدام فقال لهم قد ورد علينا ضيوف كرام».

(٤) وعلى الهامش: «هَؤلآء»

كيف أَصْنَعْ». قَالَتْ: «افعَل ما أَقُولُ لَكَ مِنَ الطعام المفتخر واطلب الخليفه، فان اكل مِنْ زادك لقمة وَاحِدَة فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ ضرب العنق». قال الشاب: «يا ستي،[1] ما الذي أَصْنَعْه؟». فقالت له: «انزل اول افرش فرش الحرير في أحسن الاماكن وضع الطعامات على الاسمطه، ثم لوث عينيك بالتراب وَجَسَدك، واذهب إلى عندهم وانت تبكي. فعند ذلك يسألوك في سبب البُكَا، فقل لهم: 'قد مات لي غلام واريدكم تحضروا تصلوا عليه'، فاذا قاموا معك واتوا نظروا الى السُّماط فيقولون لك: 'أَيْنَ المَيّت؟'، فقل لهم: 'هذا الميت. اجلسوا حتى نُصَلي عليه'، فان ضحك مولاي الخليفه واكل ولو لُقْمَةً واحدة فقد سلمت من ضرب الرقبه». فقال الشاب: «سمعاً (٤٨و) وطاعه»، وفعل ما امرته به من كل شي يليق بهم من فرش واكل وشُرْب ونحو ذلك. ثم اتى اليهم وعينيه تدرف بالدموع والتراب على خده. فلما راه الخليفة قال: «يا جعفر، اكشف لنا خبره»، فقام جعفر اليه وقال: «يا شاب، ما يبكِيكَ؟». قال: «قد مات مملوك واريد ان تَتَفَضَّلُوا وَتُصَلُّوا عليه حتى نَدْفِنُه». فقالوا: «نعم»، ثم مضوا خلف الشاب حتى وصلوا السُّمَاط، فقال الخليفه: «اين المَيِّت؟». فقال: «يا سيدي، هذا الميت! اقعدوا حتى نصلي عليه وَنَدْفِنُه». فَضَحِكَ الخَلِيفة وقعدوا الجماعة ياكلوا الا الخليفة ما أَكَلَ. فقال له جعفر: «ما بالك لا تأْكُل؟». فقال: «يا جعفر، ان اكلت من طعامه لا أقدر على ضرب عنقه

---

(١) «يا ستي» على الهامش.

وزاده في جوفي. واخاف أَنَّهُ[1] ابتكر بالجارية». فقال جعفر: «كُلْ مِنَ الزاد وان كان ابتكر بها إحبِسْهُ حتى يموت في السِّجْن».

قال [الراوي]

فتقدم الخليفة فاكل مع رفاقه حتى شبعوا واتا الشاب لهم بِشَرَابٍ فشربوا وشال السماط وطلع الشاب الى القصر (٤٨ظ) عند الجارية واعلمها باكل الخليفة من طعامه فقالت له: «خلصت من القتل». ثم قالت الجارية للشاب: «افرش هذه القاعة»، ففرشها وبخَّرَهَا بالنَّدِّ والكافور واحضر الشراب ونصب لهم الكراسي ونزل اليهم وقال: «بسم الله يا ساده، ادخلوا قصري حتى تشرفوني»، فمضوا جَمِيعاً ودخلوا إلى القصر وجلسوا على الكراسي فاعْجَبَ الخليفة نِظَامَهُ وَحُسْن ادبه، والجارية قوت القُلُوب خلف الستارة تنظر اليهم. فطاب مَجْلِسُهم وغنى مغنيهم. فلما وصل السَّاقِي الى الخليفة ناوله الكاس، فانشات قوت القلوب تغني بهذه الأَبْيَات:

يا قاتلين مَسَاكِيناً مُحِبِّينَا
مَاذَا الجَفَا مِنْكم؟ ما هم محقينا
ما الخوف أَنْ تقتلونا في محبتِكُم،
وَإِنَّمَا الخَوفُ مِنْكم في أَمَانِيْنَا

قال الراوي

فلما سَمِعَ الخليفة قول الجارية وغناها رما الكاس من يده ودفع الستارة ودخل الى عِنْدَهَا، فتلقته قوت القلُوب واعتنقا

---

(١) في المخطوط: «لَنَّهُ» (؟).

جميعاً وَغَشِيَ عليهما. فَلَمَّا (٤٩و) افاقا من غشوتهما اخذت قوت القلوب تحكي قصَّتها للخليفة وما فعلته الست زبيده معها. فقال لها الخليفة: «قد علمت ذلك، ولكن حدثيني عَنِ الشاب. هل دنى منك أو لا؟». قالت: «لا والله يا امير المومنين! لم يَدْنُ وأنا والله بِكْرٌ». فلما عرف الخليفة عِفَّةَ[1] الشاب قَرَّبَهُ أمير المومنين. فلما قرب منه سلم على الخليفة وقال له الشاب: «اريد الامان»، فأمَّنه وجلسوا في مجلسهم ذلك عند الشاب حتى غابت الشمس، فخرج الخليفة وقصد الدجله وركب في المركب وامر بحمل الجارية والشاب الى بغداد وزوجه بها وأسكنه في دار الخلافة واعطاه ما يرضيه من النَّوَال والمال الخيل والجمال والمماليك والجوار والضياع والبساتين والازهار، وصار ما يعرف الا بولد الخليفة، يَتَقَلَّب في نعمته بالهنا والسرور، حتى أتاهم هادِمُ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّق الجماعات في مدة يسيرة دون شهر، وقيل جمعات. والله اعلم بالصواب.

(١) وقد تقرأ هذه الكلمة (بشيء من الخبث) «عِنَّة»، لأن رأس الفاء تكاد لا تُرى.

حكاية لطيفه من غرايب الزمن
وما يتفق فيها من العجايب

(٤٩ظ) حكي انه كان بمدينة حلب رجل مِنَ التجار مَشْهُور بالنُّمُوِّ وَالْيَسَار. فنزل به الزَّمَان ولم يَعْلَم به احدٌ مِنَ الإخْوان، وَقَد ذَهَبَ مَالُه وَسَاءَ حَالُه وَضَنَّ بِهِ زَمَانُه وقصرت يداه وَبَنانه. وانشد **يقول شعر**:

خَـلِ دُنْـيَـاكَ وَاتَّـبِـع عَـارِفِـيْـهَـا
وَتَـجَـنَّـبْ مِـنْ رَبْـطَـة الْـعَـارِ فِـيْـهَـا
مـا تَـدُم قـط فِـي فَـرْدِ حـالٍ ولـكـن
هَـكَـذَا الـنَّـقْـل جَـاء مِـنْ وَاصِـفِـيـهَـا

قال الراوي

ثم انَّهُ لَبِسَ زَيّ الفُقَرَا وَخَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ حَلَب الشَّهْبَا يَسِير بَيْنَ البِلاد ويقنع بالقلِيل مِنَ الزَّاد، حَتَّى وَصَل الىَ دِمِشق المَحْرُوسه وَحَل بِسَاحَتِها المانُوسَهْ وَدَخَلَ الى جامِعها الأَعْظَم وَمَعْبَدِها المُكَرَّمْ، فعزم على المُقَام فيه والف ببعض مجاوِرِيه، يقطع نهاره بالصِّيَامِ وليله بالقيام. إن وجد قوته افطر، ويطوي ان تعذر. فتوقَّف عليه الحال بَعْدَ ان طوى ثلاثة ايام، فرفع يديه الى السَّما واخلص في الدُّعَا وقال: «إلهي! يا ذا الجلال، اكفِنِي شَرَّ

السُّؤَال»، ثم خرج من الجامع وَمَرَّ بِبَعْض الشوارع (٥٠و) وافضى في السَّيْرِ إلىَ درب كبير، وَاشْتَمَّ مِنْ بَعْضِ البيوت رايحة طعام لهفت نفسه اليه ونُعِشَتْ قوته عليه، فوقف على الباب وسأل ودعا لأهل المنزل بقُبُول العمل وبلوغ الأمل. فسمع امراة تقول: «يا جارية، اطعمي هذا السايل رغيفا مع الأدام»، رغبة في النجاة يوم الزِّحام. فأخرجت الجاريه زبدية فيها سكباج ورغيفا من الكماج، فتناولها منها.

[قال الفقير][1]

واذا بصاحب المنزل قد اقبل، فلما رآني زأر فيَّ ونهرني وطردني وأبعدني وضرب الجارية وشتمها، ودمدم عليها ولكمها، وأخذ الزبديه والرغيف واعادهما الى داره وقابل زوجته بشدة غيظه وانكاره. وكسر قلبي، فتوجهت فيه الى ربي وقلت: «إلهي! أَجْرَسَني على ما أنا فيه من الضرورة وكسر خاطري، وانت لكل قلبٍ منكسرٍ جابر». ثم خارقت ذلك الباب وكدت من ضعف قلبي اقضي نحبي وَعُدْت بحال لا يَسُرُّ لِشِدَّة الضعف والضر. ومضت مدة من الزمان وأنا وَرُفَقائي المجاوِرُون على عادتنا من الصيام، فحضر اليهم شَخْصٌ شيخ عليهم وامرهم (٥٠ظ) بالاجتماع ليفرق عليهم شي من النَّفَقَة على سبيل الصدقة. فاجتمع منها طايفة متفقه وجماعة من الفقرا متفرقة، ففرق عليهم بالسوية ثم اعطاهم شي من ملابس الفقرا، مثل

(١) هنا ينتقل الحديث، دون أي إشارة، من راوٍ غائب عن الأحداث إلى الشخصية الرئيسية في الحكاية، وسميناها، بناءً على ما في المتن، «الفقير».

فراش عتيق ولحاف رقيق ووسادة ظاهرة التمزيق. فَخَصَّنِي من ذلك وسادة من ادم، قفا وجودها الى العَدم وَمُزِّقَت مِنْ طُول القِدَم. فرجعت بها الى مكاني وتَوسَّدت بِهَا بَيْنَ إِخْوَانِي. فوجدتها لحكمة الحرز منتقضة الدَّرْز، ففتقت بعض حواشيها واخرجت ما كان فيها. فوجدت قُطْناً له زمان قديم ثم رأيت فيها كِيساً من الأديم، فَأَخْفَيْتُه عِنْدَمَا رايته ثم خرجت الى ظاهر البلد وقصدت مكانا لَيْسَ فِيه أَحَد، وفتحت الكيس وإذا فيه عدد من الدنانير. فحمدت الله تعالى وشكَرْتُه وانشات اقول شعر:

فيا فَرَحِي لَمَّا رأيت احمرارَهَا
وَقَدْ بَرَزَتْ بالكيس حَمْراً كَالْجَمْر
فخامَرَ عَقْلِي عند ذلك نشوَةً
ارتني انْشِرَاحاً لَيْسَ يوجد في الخمر

(٥١و) وقلت: «إِلَهِي! هذه نعمة قد منحتني
بها كَرَماً واعَذْتَنِي مِن أَذَ[ى] الْفَقْر
والصقت وجهي في التراب تعففا».
وَقُلْتُ: «إِلَهِي! هذه سَجْده الشكر».

قال [الفقير][١]

فتضاعف سُرُوري وتيقَنْتُ فَلَاح اموري وَعُدْت الى مكاني وَوَدَّعْت إِخْوانِي ودخلت الى السُّوق واصلحت شاني وشريت مِنْ الكسوة[٢] ما كفاني، واشتريت لي مَنْزِلاً اويه ودُكَّاناً اتَسَبَّبُ فيه.

---

(١) في المخطوط: «قال الراوي». رأينا أن نضع «الفقير» مكانها تجنباً للبس، لأنه ما زال هو المتحدث

(٢) في المخطوط: «الكسووة».

فاستقام حالي ونما مالي وربح متجري وبورك لي فيما ابيع فيه واشتري. وَعُرِفْت بين التجار وَوُصِفْت بِاليَسَار، بكثرة الدِّرهَم والدِّينَار. فوقع في نفسي الى التزويج داعيه، واحتجت لزوجة تكون لِصَالِح داري مُرَاعيه، وقلت في مَعْنَى ذلك:

اذا اشْتَغَل الإِنسَان بالبَيع والشرا
وفي مكسب الأَمْوَال طُول نَهَارِهِ
وَلَيْسَ في دَارِهِ مَنْ يَسُوسُهَا
اذا غاب في اشغاله عَنْ ديَارِهِ
فذلك عندي مهر لا امر نفسه
وَمَا عَاقل يَرْضَى به باختِيَاره
وَلاَ بُدَّ للإِنْسَانِ من زوجةٍ إِذَا
تَأَخَّرَ يَبْقَى عَيْنَها في انْتِظَاره
وَتَصْلِحُ ما يختاره مِنْ أُمُورِهِ
وَتَخْدُمه في فَرشِهِ وَدِثَاره
(٥١ظ) إِذا لم يكن في منزل المَرْءِ حُرَّة
تُدَبِّرُهُ، ضَاعَتْ مَصَالِح داره

قال [الفقير][١]

فإِسْتَشَرت بَعْض إخواني وأرسلت إلى امراة لها معرفة بالنسا الحاليات من الأزواج الراغبات في الزَّوَاج، فَعَرَّفْتها غَرَضِي[٢] وَوَعَدْتُهَا بِمَا يُرْضِي[٣]. فذكرت لي جَمَاعَةً مِنَ النِّسَا وَوَصَفَتْهُنَّ

---

(١) انظر الملاحظة ما قبل السابقة.

(٢) في المخطوط: «عَرَضي».

(٣) في المخطوط: «ترضي».

ثم قالت: «وهنا امرأه بارعة الجمال ذات قَدٌ واعتدال كالغُصْن المَيَّال أَوْ كالبَدْر عند الكمال. كَانَتْ مُتَزَوِّجة بابن عَمِّهَا وهي واحدة ابيها وأُمِّها. زوجها [توفي] هذا العام، وقد خَرَجت مِنْ العِدَّة لها عشرة ايام. وورثت من أبيها وأُمِّها جُمْلَة مِنَ الْمَال، وخُصَّت من ابنِ عمها بغايَةٍ من المتاع والمال والنوال، وانها خالية من الأولاد وأَظُن أَنَّهَا المراد». قلت: «هذه الغرض والمطلوب والقصد الذي اليه تميل القلوب، فاذْهَبِي وَاخْطُبِي وَانْصَحِي وَأَصْلِحِي». ودفعت إليها شي من الذهب وَقَصَدْتُ بذلك النَّجح في الطلب. فذهَبَتْ وَعَادَت وقالت: «قَدْ أَجَابت وَأَجَادَتْ. وذكرت لها من صفاتك ما اسْتَمَلْتُهَا بِهِ (٥٢و) بعد ان كادت تَنْفُر عَنْكَ». وَعَيَّنَت الصَّدَاق فوافقتها على ما ارادت وحملت النقد وعقدت العقد، وحُمِلَتْ الى داري بمن معها من الجواري. فَوَجَدتُّها من اكمل الناس حُسْناً وَأَلْطَفَهُنَّ مَعْناً واكْثَرُهُنَّ أَدَباً وحياءً وَأَوْفَرُهُنَّ فَهماً وَذَكَاءً، خلق كالنَّسِيم وَكَلَام كالدُّرِّ النَّظِيم. فَحَمِدت الله عَلَى مَا أَوْلاَنِي من النِّعَمْ وَأَزَالَ عَنِّي مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ البُوسِ والنِّقَم. وانشأتُ أَقُول شعر:

إذا رُمْتَ الزَّوَاج فخذ عَرُوساً
تَسُرُّك، طِفْلَة حُسْنَآءَ حُرَّه

فإِنْ رَجَعَتْ إِلَى أَصْلٍ وَدِين
فَقَدْ كَمُلَت لِصَاحِبِهَا المَسَرَّة

فقالت لي يَوْماً: «قد دار في خَلَدِي شي أُرِيد أَعْرِضُه عَلَيْكَ، والأَمْر في قَبُوله إِلَيْكَ». فَقُلْت: «وَمَا هُوَ؟». فَقَالَتْ: «هذه الدَّار الَّتي نَحْنُ فِيْهَا ما ترضِينا، فإِنَّها صَغِيرة الإِيْوَان، سودة

مِنَ الدُّخَان، ضيق مخدعها عَسِر مطلعها، سقوفها ذات انحطاط ومجلسها مِنَ القِصَر لا ينبَسِطُ فِيهِ بساط، وبركتها لا يدوم جريانها وقد ضيَّق صدري (٥٢ظ) نُقْصَانها. فان كانت لك فقد تَعَيَّنَ تركها، وان كانت لغيرك فَأَعِدْهَا الى مالكها، وفي ملكي دار مُحَصَّنة وقاعة جديده مستحسنه واسعة الفنا متجددة البنا، بِرْكَتُها كثيرة المْآء يدوم جريانها وَيَسُرُّك شاذِرْوَانَهَا، بشبابيك في ايوانها تَشْرِفُ عَلَى بُسْتانها. منافعها كثيره ومجالسها كبيرة. إيوانها مرتفع ومخدعها متسع. فإن اقتضى رأيك في النقلة اليها، والا فدارك أنت عليها». ثم انها ناولتني المفتاح وقالت: «افعل ما تريد وتختار بانشراح». فقلت: «في اي الحارات؟». فقالت للجارية: «انْطَلِقِي مع سيدك إِريه مكانها». فتوجَّهَت الجارية، وأنا معها،[1] في الحال، وفتحت الصبَّة والأَقْفَال، فدخلت واذا [بـ]ـدار مليحه وقاعة فسيحه، تزيد في المحاسن ما وَصَفَت وقد اخْتَصَرت فِي وَصْفِها وَقَصَّرَت. وَحَصَلَتِ النقلة إليها في ذلك النهار، وَكَمُلَت الأَفْرَاح والمَسَار، وكملت الرَّاحَة بِسُكْنَاهَا، وتركنا تلك الدار وأهملناها. (٥٣و) فبينما أنا في بعض الأيام جَلَسْتُ في دهليز الدار ودخلت بعقلي في ميدان الأفكار وتذكرت تقلب الأحوال وما كان معي من المال وذهابه مني وَصُحْبَتِي الفُقَرَا مِنَ الرِّجَال وتعذر القوت عليَّ ثلاثة أيام مَعَ اللَّيال، ثم خُرُوجي من المسجد ومَشْيِي في بعض الشوارع

---

(١) بعد كلمة «الجارية» كُتب ثم شُطب على الآتي: «مع سيدها في الحال»، مما قد يدل على أن الناسخ نفسه كان يوافق بين الأصل الذي منه ينسخ والنص الذي ينسخه في سياقه الجديد.

وَوُقوفي على باب تلك الدار التي شَمَمْت منها رايحة الطعام، ودُعائِي لأهلها وخروج الجارية الَيَّ بالرغيف والأدام مع قدوم صاحبها ونهره للجارية وضربه لها ورده للزبديه واعادتها الى الدار، وأنا أنظر اليه، وابتهالي بالدعا عليه، وزوال الشده التي كُنْتُ فيها في اقرب مُدَّه، ثم تميزت بعقلي في باب الدار وما فيه من نقش الأحجار، فاذا هو ذلك الباب، واستدللت عليه بالمساطب[1] والأعتاب. وَأَمْعَنْتُ النَّظَر وَتَحقَّقْت الأثر وَتَعَجَّبْتُ من هذه الواقعة واستغربت هذه الاتفاقات العجيبة. ودخلت إِلَى أَهْلِي مُفَكِّراً مُتَعَجِّباً مُتَحَيِّراً، فَأَنكَرْت (٥٣ظ) حَالِي وَتَلَطَّفْتُ فِي سُؤَالِي. فَقُلْتُ لها: «انصتي إلى مقالي لِأُخْبركِ بِمَا وَقَعَ لي وجرى لي. اعْلَمِي ان في الدُّنْيَا أُمُور عجايب واتفاقات غرايب». فقالت: «نعم»، ثم حدثتها بجميع قِصَّتِي، وَتَقَلُّبِ الأَحْوَال عَلَيَّ في غُرْبَتِي، من ذهاب المال وَتَوَقُّفِ الأَحْوَال والحاجة إلى ذُلِّ السُّؤَال ووقوفي على الباب الذي شممت منه رايحة الطعام بعد عجزي من القوت ثلاثَ[2] ليال وثلاثة ايام، وَظَفَرِي بالدنانير

---

(١) وهذا مصطلح من العصر المملوكي مفرده مسطبة، ومعناه: «بناء مرتفع قليلاً يقعد عليه، ورغم أن الصاد فيها أبلغ فإنها في الغالب ترد في الوثائق بالسين، والمسطبة دائماً بناء أما إذا كانت خشباً فتسمى 'دكة'، وتستخدم المسطبة للجلوس عليها، وتوجد أيضاً في الحوانيت للجلوس عليها أو لعرض البضائع خارج الحانوت» (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، «المصطلحات المعمارية في العصر المملوكي»، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٠٦).

(٢) في المخطوط كُتب أولاً «ثلاثه»، ثم حُذفت التاء المربوطة بتطويل كرسي الثاء.

الذهب مِنْ تِلْكَ الوساده، ولله عز وجل في كل شيْءٍ إراده، وإني تميزت في هذه الساعه باب هذه القاعه، فوجدت الباب الذي رددت منه، وصح ذلك بعلامات اعرفها منه. [وقلت لها:] «وانا أسألك بخالق الليل والنهار، وبحق نَبِيِّنَا محمد المختار، أن تُخْبِرِيني بِالصِّدْق وما وقع لصاحب هذه الدار، وَتُطْلِعِيني على حقيقة هذه الأَخْبَار». فَأَطْرَقَتْ وتَفَكَّرَتْ، ونظرت وتفكرت، ثُمَّ تَبَسَّمَتْ وَاسْتَحْضَرَتْ تلك الواقِعَة الَّتِي جرت. وقَالَتْ: (٥٤و) "كان صاحبها زوجي وابن عَمِّي. تزوجني بعد موت ابي وأُمِّي. وكان له مالٌ جزيل، الا انه كان رجل بخيل، ولي في صُحْبَتِهِ خَمْسُ سنين ما أعلم انه تَصَدَّقَ بِلُقْمَةٍ ولا كِسْرة على مِسْكِين. وكنت أَعْذُلُه في الشُّحِّ فيزيد، وَأَلُومُهُ فما يفيد. وَاتَّفَقَ انه كان في بعض الأيام أَخْرَجْت لِلْفُقَرَا شيءٌ من الطعام، فراه عند وصوله، فَرَدَّهُ عن الفقير بعد دخوله. ثم ضرب الجارية وَرَدَّهَا، وَدَمْدَم عليها وعنفها. ثم دخل الى المنزل ونزع ثيابه وبدلته، وتوجه الى بيت الخلا ليقضي حاجته. فانخسف به المكان، وغاص في الغائِط الى الآذان، وسقط عليه حَجَرٌ رَضَّ صدره وَكَسَر ظهره. فاخْرَجَتْهُ الجوار مِنْ المرحاض سحبا، وَجُرِّد مِنْ ثيابه، وهو غايب عن صوابه. وفي آخِرِ الليل قضى ونفذ فيه سَهْمُ القضا. وقد قال الشاعر:

إِذَا خَصَّكَ الرَّبُّ الكَرِيم بِنِعْمَةٍ
فلا تَمْنَع المِسْكِين من ربع عشرها
وَلاَ تَكْسِرَنْ قلب الفَقِيرِ بِمِنْعَةٍ
وَأَدِّ بِمَا تُعطِيه واجِبُ شكرها

(٥٤ظ) وَإياكَ مِنْ كَسْر القُلُوب فَإنَّهُ

تَكَفَّلَ رَبُّ الْعَالَمِين بِجَبْرِهَا

فَكَمْ مِنْ بَخِيل في الزكاة وجدت

أُصِيبَ بِسَهْم من مصايب وزرها

يُحَصِّل أَمْوَالاً وَيَمْنَع حَقَّها

وَيُحْرِمُه الحِرمَان من كسب أَجْرِهَا

ويكفيك ما ضمنته مِن مَقامه

حَوَتْ حِكَماً مِثْلَ الرِّياضِ وَزَهْرِهَا

تَفُوقُ عَلَى زُهْر النُّجُوم[1] بِنَثْرِهَا

وَتَغْلُو[2] على دُرِّ العُقُود بشعرها

إذا تُلِيَتْ فِي مَجْلِسٍ فاح عطرها

وَتَهْدِي إلى الآفاق طَيِّب نشرها

وخلف[3] من الأموال جملة مُسْتكثره فَفُرقتْ على الوَرَثَه بِمُقْتَضَى الشريعة المُطَهَّره، وصارت هذه الدار من جملة حقي. واما الوساده فانه استصحبها في طريقه الى الحجاز ووضع فيها الكيس الذهب وذاك من شدة الاحتراز. ثم بعد ان رَجَعَ ذَهِلَ عن إخراجه[4] وَأَهْمَلَهُ لعدم احيتاجه. وعند بيع التركه افرد[5] منها

---

(١) في المخطوط: «النُّحُوم».

(٢) في المخطوط: «تعلوا».

(٣) قبل أن تستعيد شخصية المرأة السرد بعد رواية الشعر، يضع الناسخ جملة «قال الراوي»، فحذفناها تجنباً للبس، لأن المرأة ما زالت هي المتحدثة.

(٤) وبعد هذا: «وعند بيع التركة»، مشطوب.

(٥) والفعل هنا مبني للمجهول.

شيءٍ للصَّدَقه، وَجُمِعَ مِنهَا اثاث البيت أشيا مُلَفَّقَة من فرش والحفه مُمَزَّقَه ووسايد مُفَتَّقه وَبُسْطٍ مُخَرَّقه وأنطاع مُشَقَّقَه، ووصلت إلى الفقر بالتفرقه. فخصك الله بهذه الوساده (٥٥و) واجراك على عوايد فضله وَأَلْطَافه[1] المعتاده، وهذا ماله قد صار إليك، وهذه زوجته بين يديك، فَاسْجُد لله شُكْراً واقرا قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.[2] وها أنت تعاهدني انْ لاَّ ترد فقيراً ولا ترد سايلا، جليلاً كان او حقيرا، وتفكر وتدبر في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وديارهم وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَوْهَا وكان اللهُ عَلَى كل شي قديراً﴾[3]». فَعَجِبْنَا مِنْ ذَلِك الاتفاق وما حَصَلَ مِنَ الوفاق. وحمدنا الله تعالى على ما مَنَّ به علينا مِنَ الارْزَاق وَقَصَدْنا مكارِمِ الأَخْلاَق وَتَصَدَّقْنَا عَلَى الفُقَرَا الوَارِدِين من الافاق.

قال صاحب الحديث

لم اسْمَع باعجب من هذه الواقِعَة وما فيها مِنَ الالفاظ الرايقه، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أَجْمَعِين. والحمد لله رَبّ العَالَمِين.

---

(١) «وَأَلْطَافه» كتبت على الهامش.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢٧.

حكاية نور الدين الدمشقي
وما وقع له مع محظية السلطان(١)

حكي انه كان بِمَدِينة دمشق رجل تاجر من حارة المِيدَان (٥٥ظ) من أَعْيَانِ التجار. وكان له ولد يقال له نور الدين. واراد والده ان يخرجه ويعلمه الأسفار والبيع والشّرا ويعرف أُمُور الزمان. فعبا له سفرة بعشرة الاف دينار من كل نوع فاخر واعطاه عبيد ومماليك وودعه وسافر مع بعض القُفُول الى مِصْر. فبينما هم في الطريق اذ طلع عليهم عرب اخذوا القَفْل وقتلوا منهم جماعة بكثرة. وما سَلِمَ إلاّ القليل، ونور الدين من جملة من سَلِمَ. ثم انه مشى وأعانه الله تعالى حتى دخل مصر تَعْبَان جيعان عريان غريب ما يعرف أَحَداً. ثم انه فكر في نفسه وقال: «اموت

(١) إن التيمات الأساسية لهذه الحكاية تذكّر بما في «حكاية محظية المأمون»، الواردة في طبعة برسلاو لألف ليلة وليلة، الجزء الثاني عشر، ضمن الليلة الحادية بعد الألف، ص ص ٤٠٣-٤١٢. وفي مخطوطٍ لألف ليلة وليلة، رقمه في المكتبة الأهلية في باريس "arabe 3619"، هي إحدى الحكايات التي يحكيها المقدّم السادس عشر للسلطان المملوكي بيبرس بين الليلتين ٩٠٩ و١٠٠٠ (ومن الطريف في هذا المخطوط - المبتور من أكثر من ثلاثة أرباعه الأولى - هو أن ناسخه «قفز»، سهواً أو مللاً، من الليلة ٩٠٩ إلى الليلة ١٠٠٠!).

جُوعاً»، فاراد ان يسأل، فلم تُطَاوِعْهُ نَفْسُه، فَتَقَدَّمَ الىَ خباز ومسك رغيف وَقَلَّبَه وَشَمَّه وَوَضَعَهُ مكانه وولى وعيونه جارية، فَرَآه[1] رَجُل فعرف انه مِنْ اولاد النَّاس ودار به الزَّمَان، فطلبه واخذ له خبز ولحم وقال له: «كل يا ولدي»، فَأَكَلَ حتى اكتفى ثم سأله وقال له: «من اين أنت؟». قال: «من الشام»، وحكى له ما جرى. فاخذه وأتا به الى دكانه في سوق الفاضل[2] وقال له: «اُقْعُد عِنْدِي. كل واشرب وخذ لك كل يوم نصفين».

قال الراوي

وكانت دكان دلك الرَّجُل في سوق الفاضل، فعمله بواب فبقي يكنس ويقفل ويفتح ويساعد (٥٦و) التجار، فاحبوه وأحسنوا اليه واكتسا وعاد اليه بعض [ما] فيه مِنَ الجمال. فبينما هو جالس في بعض الأيَّام واذا بامْرَأَةٍ دَخَلَت السُّوق على حمار مكاري في خشية عظيمة، فنظرت إلى ذلك الشاب فقالت له: «من اين أنت؟». فال: «مِنَ الشام». فالت له: «ما الذي تفعله في هذه الدكان؟». فأحكى لها ما جرى له فقالت له: «اذا عَمِلْتُ مَعَكَ جَمِيل تعرفه؟». فقال: «ما يُنْكِره الا ولد الزِّنَا!». قالت: «صدقت»، ثم أَنَّهَا اعطته كيس خَمْسُمِائة دينارٍ وقالت: «اذهب الى المُعَلّم قُسَير معلم السوق - وكان هو الذي جرى له معه ما

---

(١) كتب الناسخ «فَرَأَءَهُ».

(٢) لم نجد عن هذا السوق إلا إشارة عابرة في «إنباء الغمر في أنباء العمر»، للمؤرخ ابن حجر العسقلاني، حيث يتحدث عن «القيسارية المعروفة بسنقر الأشقر مقابل السوق الفاضل»، وهي إشارة لا تفيد أكثر من أن تُعلمنا عن وجود مكان يحمل هذا الاسم بالقاهرة.

جرى - و قل له: 'أُمّي [. . .][1] خبري فارسلت لي بعض نَفَقَةٍ وأسأل فضلك تاخذ لي دُكّان واكون تحت نظرك حتى انظر كيف شطارتك في الدكان، فإذا رايتك شاطر فما يكون بعد ذلك الا كل خير'».

قال الراوي

فاخذ نور الدين المال وراح الى مُعَلم السوق وَعَمِلَ كلما قالت له ، واخذ له دكان وجلس يبيع ويشتري. فغابت مُدَّة وَجَاءَت فنظرتها وقالت: «هذه ما تصلح ولا تليق. خذ هذه الف دينار وخذ لك دكان احسن من هذه». فاخذها واعطاها للمعلم. فأخذ المعلم المال والقماش (٥٦ظ) الذي كان في الدكان الاول بَاعَهُ واخذ له دكان حرير. فقعد فيها ايام وَجَاءَتْهُ ونظرت الى الدكان وقالت: «هذه ايضاً ما هي دكان مليحه. خذ هَذِهِ الفين دينار وخذ لك دُكّان ما يكون لاحد في السوق مِثْلَهَا، وَمَهْمَا احتجت نُعْطِيكَ».

قال الراوي

فاخذ المال اعطاه للمعلم واخذ له دكان أَحْسَن ما يكون في السوق، وجعل فيها قماش مذهب رَمَادي[2] وقماش تماسيحي وشي يدهش العقول. فغابت مدة وجات نظرته فاعجبتها الدكان وما فيها من القماش وقالت: «هذه مليحه»، ثم اخرجت الفين

---

(١) كلمة لم نتبيّنها، مكونة من حاء ثم ميم ثم كرسيين من غير تنقيط. وأغلب الظن أنها ليست إلا تحريفاً لـ«سمعتُ» أو «علمتُ» أو «عرفتُ».

(٢) قد تقرأ هذه الكلمة «وماردي». وبعدها شطب على حرفين لم نتبينهما ثم شطب كذلك على كلمة «تَمَاسيحي».

دينار وقالت له: «خذ لك بيت مليح بالف وخمسماية والباقي اكْتَسِي به كسوة مَلِيحه، وكل شي طلبته جَاءَ لك». فقال للمعلم: «مرادي تاخذ لي بيت أَسْكُن فيه». فقال له: «كرا والا شرا؟». قال: «شرا وأنا عبدك وغرس نعمتك، ولولاك ما كنت اعرف شي». قال: «بسم الله!»، ثم انه أَرْسَل وَرَاءَ الدلال وساله على بيت يُبَاع. فقال له الدلال: «عندي قاعه مليحة على خليج المُرَخَّم بالف وخمسماية دينار». فقاموا مَعَهُ نَظَرُوهَا فراوها قاعه مَلِيحة بايوانين وفسقيه وشادروان بِرُخَام مذهب، برواق فوقاني، بشبابيك مِطلّةٌ على الخليج، بجنبه قيطون[1] الى الخليج (٥٧و) واصطبل وطبقه مليحه ومطبخ وحوش كبير. فاعْجَبَتِ المُعَلم فاشتروها وقَبَّضوا ثمنها. ثم قال للمعلم: «خذ لي كسوة مليحه». فقال له: «مُبَارك! وما يُجَمِّل الإنسان الا الملبوس والكسوة المليحه». فاخذ له من كل شي أحسنه وافخره نحو خمس بدلات. فغابت مدة وجاءت فرأت دكان مليحه وفيها من القماش الحرير الحسنه ورأت على نور الدين ملبوس عظيم فاخر. فقوي قلبها وقالت له: «اخذت دَاراً؟». قال: «نعم». قالت: «فقم ارني اياها». فقام معها، فلما رأتها اعجبتها وقالت: «مَلِيحه مُبَاركه!»، ثم اعطته ألفين دينار وقالت له: «زيد دكانك

---

(١) لهذه الكلمة ذات الأصل اليوناني أكثر من معنى، وأفضله لسياقنا ما يلي: «يستخدم هذا المصطلح في مصر للدلالة على المخدع أي المكان الذي يطلّ على الماء سواء كان صغيراً أم كبيراً، وتجمع على قواطين» (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، «المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية»، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٩٢).

بالف واشتري بالالف الأُخرَى كِسْوَه للقاعه وعبد مليح وبغله مليحه»، ثم ودعته وانصرفت. فجاء الى المعلم واعطاه المال واعلمه بِمَا ياخذه له من الكسوة والعبد والبغله. واشترى له كسوة للقاعه مثل البُسْط المليحة العال والمقاعد المضربه واخذ له بشخانه ونحاس والة الطبخ من الدُّسُوت و الطناجر والمغارف النحاس وغير ذلك. واشترى عبد نادر في العبيد، مُفَنَّن في كل شي: غَسَّال طَبَّاخ مُعَاشر عايق[1] كامل الفنون. واخذ له بغلة ظريفة كاملة المحاسن. ثم انه لما اراد شِرا العبد قالوا له الناس: «هذا العبد ما يَصْلُح لَكَ»، لِمَا يَعْلَمُوا مِنْهُ مِنَ العِيَاقة والشطاره، (٥٧ظ) فقال لهم: «ما اخذ الا هذا العبد، وقد رضيت به على ما فيه»، ثم انه التفت اليه وقال له: «انظر يا عبد الخير. اسمع ما يقولولي الناس عنك وانا قد رضيت بك وخاطرت بنفسي. ما تقول انت؟». فقال العبد: «يا سيدي، خذني وتوكل على الله!».

قال الراوي

فاشتراه وراح الى القاعه وقال: «يا سعيد، ما عندي الا أَنتَ. أَنتَ ابي وأَنَا ولدك والكل في يدك، وما نأكل الاَّ بشهوتك». ثم انه كساه كسوة مليحة. فلما رأى العبد هذا الاكرام من سيده، قام كَنَسَ القاعة ومسحها[2] وفرش الفرش ورتب كل شيءٍ في محله. ثم انه طبخ لونين طعام واكل هو وسيده وقام

---

(١) يقول دوزي في قاموسه المذكور هنا (الجزء الثاني، ص ١٩٠) أن هذه الكلمة، في بعض أوجه استعمالها، قد تكون مرادفاً لحرامي أو شاطر. ومن خلال السياق يتضح المعنى.

(٢) بعد هذا: «وفرشها»، مشطوب.

الى البغلة حَسَّهَا ونظف تَحْتَهَا ثم شدها وجعل على الرحل السجاده ودعا سيده الى الركوب، فركب وذهب الى الدكان ففتحها و نظفها وقعد. فقال له سيده: «يا سعيد، هذا الذهب والفِضَّه مهما شِئت خذ»، فبقي العبد يشتري مهما اراد مِنَ الوزّ والدجاج واللحم وما يحتاج اليه ويطبخ ما يريد وما يشتهيه. ثم ان العبد راى نفسه قد استراح عند سيده وبَقِيَ مِثْلَ والده. فحمد الله على ذلك. ثم ان المراة جاءت فرات الدكان زاد قماشُه (٥٨و) والعبد والبغلة حاضرين فَفَرِحَتْ وازدادت سُرُور. فقالت: «قم بنا الى البيت»، فقفل الدكان وراح هو وعبده فرات ان الذي اخذه للقاعه من الفرش عجبها. ثم قعدت فقام العبد طبخ لهم طعام مليح وقَدَّمَهُ لهم، فاعجبها طعام سعيد وَنَظَافَتَهُ فَقَعَدَتْ الى المسا وقامت راحت واعطت سعيد ثمن كسوة واعطت نور الدين خمسة الاف دينار وقعد نور الدين وعبده في الذ عيش وصارت المراة تأتي إليهم الاثنين والخميس. وكلَّما جاءت تجيب مَعَهَا شيءٌ مِنَ المال. ثم انها يوم من الأَيَّام قالت لنور الدين: «لي عندك حاجة تقضيها لي». قال: «نعم. وما هي الحاجه؟». «في الصَّاغه شاب جوهري اريدك تُصَاحِبُهُ وتعزِمُه لقاعتك، فإِنَّ لي في ذلك غرض«. فقال لها: «بسم الله، على الراس والعين».

قال الراوي

فذهب نور الدين الى ذلك الشاب وصاحبه وتكلم مَعَهُ وَاسْتَدْرجه حتى حصل الأُنْس بينهم، وواعدها على يوم وعزمه لقاعته وعمل له ضيافه زهره مليحه واظهر سعيد ما كان عِنْدُه مِنَ

المَعْرِفَه (٥٨ظ) ونوع مِنَ الطَّعام ألوان، وجا الرجل من اول النهار وقعدوا الى الظهر، فجاءَت وَسَلَّمَتْ وَقَعَدَت، فَأَكَلُوا وشربوا ولَذُّوا وطربوا. إلى أَنْ جاء نِصْف الليل قامت واخذت بيد الجوهري ودخلت به الى البشخانه. فلما رَآها نور الدين فعلت ذلك خرج مِنْ عَقْلِهِ وقال: «هذه المراة تستَعْرِضنِي، ولكن ما يبالي الى لعنة الله[١] ومن اليوم ما بقيت أقول لها 'أنتِ وَيْن؟'.[٢] ولكن لَهَا عليك فَضْل! دَعْها وما تريد». فبقي نور الدين ساعة يَقْوَى قَلْبُه وَسَاعَة تَتَحَرَّك عَلَيْهِ الغيره وما يقدر يهجع. فقام واخذ سكين في يده ومشى الىّ البشخانه واصغى بأُذُنه فلم يسمع لا حس ولا حركه. فشال طرف البشخانه فما رأى أَحد. فمد يده فوقعت على شي سُخْن، فراح الى النور فرأى يده ملوَّنه بدم احمر فجا بالسراج ونظر فراى الشاب الجوهري مذبوح قتيل! فقال نور الدين: «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم!»، ثم انه دَوَّر على المراة فلم يَرَ لها خبر ولا اثر، فخرج على وجهه هاربا من البيت، وهو سكران غريب خايف. فترك البيت وما فيه وهرب. (٥٩و) فرآه الوالي فَمَسَكَهُ وقال: «ما اخرجك في هذا الوقت نِصْف اللَّيْل؟». قال: «كُنْتُ في عُزُومَةٍ وأنا طالب مكاني». فقال الوالي: «لا احد يشوش عليه واوصلوه الى بيته!». فقال له المُقَدَّم: «بيتك ما هو هذا

---

(١) وقد تكون الجملة «وما يبالي لعنة الله».

(٢) كلمة لم نتبيّنها، مكونة من كرسي من غير تنقيط (ولعلها واو) وفوقها فتحة ثم ياء فوقها سكون ثم نون. والأرجح أن تكون كلمة عامية، إما «وَيْن»، كما أثبتنا، إما «فين»، أو «مين».

الجانب؟ انا اعرف بَيْتَك». فقال لهم نور الدين: «لما رايتكم خفت». فقال الوالي: «لا تخاف. اذْهَبْ وَمَا عليك شر». فرجع الى ان اوصلوه الى بيته، فرفع المُقَدّم الباب واراد ان يدخل، فرأى على العتبة نقطة دم - فانه لما خرج وهو هاربٌ وقع من يده على العتبة نقطة دم - فاخذه المقدم وشمه وقال: «ريحة زفرة». فقال الوالي: «هذا ما هو من اهل الزفر!». فقال المقدم: «انت ما يصلح منك والي. ادخل حتى تنظر ما الحكايه». فقال الوالي: «ادخل وحق رأسي ما أحد يمد يده لشيءٍ من بيتك، ومن يمد [يد]ه[1] إلى شي قطعتها».

قال الراوي

فايقن نور الدين بالموت لا محاله، فدخلوا واخذ المقدم الشمعة وطلع الإيوان وشال البشخانه، فما رأى تحتها شي ابداً ثم جآ الى ثاني فرش فما راى فيه أحد، ثم دخل (٥٩ظ) البيت فما رأى فيه احد، ثم راح الى ثاني إيوان وشال البشخانه فما رأى فيها أحد، فَدَوَّر باقي المواضع والخرستانات والمنافع والمطبخ والموخر وبيت الازيار[2] فما رأى أحد. ثم طلع الى

---

(١) في المخطوط: «يمده».

(٢) «الخرستان فارسي معرب من خور بمعنى طعام وستان محل أو مكان، أي محل الطعام وما يتصل بالطعام (. . .) ويقصد به في الوثائق دواليب داخل الحوائط بالمدارس والقاعات وغيرها، وهي مثل الكتبيات، كما يقصد بالخرستان حجرة أو حاصل أو خزنة أو خلوة حبيس في الغالب (. . .)» (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، «المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية»، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤٤). أما الأزيار فمن الزير، وهو «الدن الذي يجعل فيه الماء وأزيار جمع زير، ويطلق بيت =

السطح والرواق فما رَأَى أَحَد. فَنَزَل وَهُوَ مَغْبُون، فقال الوالي: «يا عَدُوَّ الله، تريد أَنْ ترمي هذا الِمسْكِين من غير ذنب؟». ثم ان الوالي قال للغُلَام: «ادْخُل بيتك. لاَ يَكُون احد اخذ لك شي. وراس السلطان، كل مَنْ اخذ لك حاجَة قطعَت يده».

قال الراوي

فعندما رأى نور الدين المُقَدّم شال البشخانه، مات مِنَ الخَوْف. فلما راى ما فيها شيءُ، تَعَجَّب. ثم ان الوالي قال لنور الدين: «اقفل بابك ونام». فباس يده وكان في جيبه بعض نفقه. قال: «يا سيدي ما هي واجبه، ومهما [تريد] ارسِل خذه من الدكان».[1] فمضى الوالي وقفل نور الدين الباب ودخل واذا بالعبد سعيد جا ووقف وقال: «يا سيدي، ما هذه العمله! كانت هذه الليلة راحت رُوحُك بسبب هذه المراة الخاينه! وحياتك يا سيدي لافعلن معها فعله اشد (٦٠و) من هذه». فقال له سيده: «انا اعجبني لما فتش المقدم ما رأى شي». فقال العبد: «يا سيدي، انت رجل غريب وما تعرف مكر اهل مِصْر ولا حيلهم. وانتم لما سكرتوا والمراة والشاب الجوهري، خفت عليك فقعدت من بعيد انظر اليكم كيف يكون الأَمْر. فلما رايت المراة

= الأزيار على المكان الذي توضع فيه الأزيار» (نفس المرجع، ص ١٢). أما «المنافع» و«الموخر» فلم نجد لهما شرحاً في ما راجعناه، مع أن التسمية نفسها قد تكون شرحاً لوظيفة المكان.

(١) يوجد سقط ما في هذا الجواب الذي قد يكون، في الأصل، مجزّءاً إلى جزءين، قد يقول في أولهما الوالي: «يا سيدي ما هي واجبة»، وقد يجيب عليه نور الدين في ثانيهما: «ومهما تريده ارسل خذه من الدكان».

اخذت الشاب ودخلت به الى البشخانه، اردت ان انزل اليهم واعمل[1] شغلهم، فَصَبَّرْتُ نفسي لأَجْلِ خاطرك، ثم رايتك قمت وما اخذك نَوْم، وَحَصَل عندك غاية الضجر، وكانت المراة ذَهَبَتْ الى بيت الخلا وما رجعت، ورايتك قمت الى البشخانة[2] وخرجت هاربا، فقمت بعدك انظر الى البشخانه فرايت الرجل مذبوح فعرفت انما ذَبَحَهُ الا المرأة، وأنت خرجت خايف فزعان. ثم اني اخذته ملفوف في النطع والمقعد والقَيْتُه في بير في جانب الخليج اعرفها هناك، وردمت البير بالتُّراب حتى لا تَفُوح رايحة. ثم رجعت الى الفرش وقلبته ثم رايت الوالي والمقدم وهم واصلين وانت مَعَهُم فاختفيت منهم ولو راوني كان لي وَلَهُمْ أَمْرٌ عجيب، ولكن الحمد لله على السَّلَامه، واين تروح مني هذه الخاينه؟ (٦٠ظ) ولو غابت ما غابت!». ثم نامُوا الى الصباح ولما اصبحوا ذهبوا الى الدكان، واقاموا ايام لم يَرَوْها.

قال الراوي

فبينما هم بعد مُدَّة وَهُمْ جالِسِين في الدُّكَّان، واذا بِهَا قد دخلت من باب السوق. قال سعيد لسيده[3] نور الدين: «هذه الخاينه قد وصلت!». فجاءت وسلمت وضحكت وقالت: «لا عتاب الا في البيت! قوموا اقفلوا وروحوا بنا إلى القاعه». فقاموا وذهبوا الى البيت، فَلَمَّا جَلَسَتْ [قلعت] ازارها ثم قالت: «كانك يا سعيد متشوش مني، وأنت غضبان عليَّ. اقْعُد اسْمَع حكايتي

---

(١) كذا في المخطوط، ولعل الصواب «اعلم».

(٢) في المخطوط: «البسخانة».

(٣) في المخطوط: «لِسَيِّدِي».

انت وسيدك، لانَّ صار لكم علي حق واجب انت وسيدك، وما بقيت اخفي عنكم شي».

[قالت المرأة]

اعلم يا سعيد اني انا من حظايا السلطان محمد ابن قلاوون،[1] ونحن اربعين محظيه وقد طلبنا الإذن منه بالبُرُوز الى المدينه، فسمح يومين في الجمعة، الخميس والاثنين. وقد اتفقنا في بعضنا ان كلِ واحدة تاخذ لها معشوق يكون لها وحدها دون صاحبتها. فَكُلٌّ مِنَّا اخذت لها من أَحَبَّتْ واختارت. واما انا فبينما ذات يَوْمٍ في سوق الجوهر إذ نظرت (٦١و) شاب فقير الحال، صاحبَ جمال وأَدَب وكمال، واقف مع الدَّلالِين فَطَلَبْتهُ إِلَى عندي وَأَعْطَيْتُه مائة دينار وقلت له: «بيع واشتري»، ثم غبت عنه وجئت اليه وكملْتُ له أَلْفَ دينارٍ. ثم غبت عنه وجِئْتُ اليه ثانياً واعطيت له خمسمائة الف دينار واكسيته وعملت معه مثل ما عملت معك يا سيدي. ثم بعد ذلك صرت أُحِبُّهُ وَأَتَرَدَّد عليه بعد ان أَغْنَيْتُه، فصار لا يوريني وَجْهـ[ـه] ولا يلتفت الَيَّ. ثم بَقِيتُ أَجِيه انظره يَوْم وَعشره ما انظره، وهو قايم على غيري.

---

(١) إشارة إلى الناصر ناصر الدين محمد أبي الفتوح بن قلاوون، السلطان المملوكي الذي حكم مصر لثلاث فترات، الأولى بين سنتي ٦٩٣-٦٩٤هـ، عندما كان عمره تسع سنوات، تم إسقاطه بعد انتفاضة قام بها المماليك الأشرفية؛ والثانية بين ٦٩٨-٧٠٨ هـ، اضطر إلى خلع نفسه من العرش؛ والثالثة بين ٧٠٩-٧٤١ هـ. كان عهده من أطول عهود السلاطين المماليك على وجه الإطلاق، ومثلت فترة حكمه أوج قوتهم، على حد تقدير المؤرخين.

قالـ[ـت الجارية][1]

ثم اني جِئْتُ في بَعْض الأَيَّام ما رايته، وإذا برجل شيخ قَالَ لي: «يا سِتّي، افْرُغِي عَنْ هذا الشَّابّ، فإن ما فيه خير»، واذا هُوَ وَاصِل، فَعِنْدَما جَلَسَ طَلَبَ بَعْض الدَّلاَّلِينَ وقال: «قُلْ لهذه المرأة الواقفه: 'كِشْ كِش كِشْ، فما بقي يريدك ولا عاد له شُغْل بك. ما هو شي بالغَضَب، أَخَذَ له بَدَلك. رُوحي فِي حالك!'». فاخذت على خاطري وقلت في نفسي: «هذا ما كان يَمْلِكُ شيءً، فَأَغْنَيْتُه وَعَادَ (٦١ظ) عريف السُّوق وَيَعْمَل مَعِي هكذا؟». وصرت كلما اجي السُّوق يُسَلِّطُ عَلَيَّ الدَّلاَّل. فقال لي ذلك الشيخ: «هذا ولد زنا، لا تعتبي عليه. هذا امُّه قسْطِيَّه.[2] لا تَطْلُبي مِنْهُ رَجْوَه، وَاللهُ يُخْلِفُ عليك. أنا جاره واعرف أُمُوره والكل مِنْك، وَهُوَ الذي سلط عليك هَذَا الدَّلاَّل». فلما راني الدَّلال واقفه والرجل يكلمني جآء ووقف. فقال له الرجل الشيخ: «انت ما تخاف من الله تعالى؟ مالك ولهذا الحرمه؟ كلما جات تُطَالب هذا بمالها تَرْمِي عليها وَتُسَمِّعُهَا الكلام الوجيع! وانا وانت وغيرنا يَعْرِفُ ان كل ما بيده من هذه الحرمه، وما كان اصله الا يَخْدِمُ اهل السوق من الدلالين وغيرهم ويَكْنُس». قال

---

(١) في الأصل «قال الراوي»، وغيّرناها تجنباً للبس، لأن المتحدّث ما زال الجارية. وبعد سطور قليلة سيعود الحديث إلى لسان الراوي الغائب الذي لا يشارك في أحداث القصة.

(٢) يقول دوزي ما معناه: «قِسْط، مجموعة عاهرات يعشن بعضهن مع بعض. وتُسَمَّى الواحدة منهن قِسْطِيَّة» (Supplément aux dictionnaires arabes، الجزء الثاني، ص ٣٥٢).

الدَّلأَل: «صدقت». ثم قال لي الدَّلأَل: «هو الذي يُعْطيني كلما تجي نصفين ويَأْمُرُنِي أَنْ أَتَسَلَّط عَلَيْكِ، ولكن أَدُلُّكِ عليه». قلت: «نعم». قال: «انه يحب جارية في المَعْصَرة التي في الجزيره. وهو عندها يَشْرَب الِمزْر والبَوزَهْ».[1] فقلت له: «أَرِنِي إِيَّاهُ وخُذْ لَكَ (٦٢و) حَقَّ طَرِيقِكَ»، فَأَعْطَيته دينار ومشى معي وقال لي: «هو في هذا الموضع»، فجئت مع المُكَّارِي الى تحت البيت، فَسَمِعْت حِسّه وهو يتكلم مع الجارية وهم قاعدين يشربوا بوزه ومِزْر. فَقُمْتُ على ظهر الحمار واذا به جالس والجارية على ركبته قاعده، وجرة البوزه قدامه. فلما رآني قال: «يا خاينه، إلى هنا تتبعيني وانا هارب مِنْكِ؟!».

قالت الجارية[2]

فلما سَمِعْتُ منه هذا الكلام غابت الدينا في وجهي وقلت له: «اعطيني مالي!»، فَضَحِكَ وقال: «أَنْتِي لك عندي مال المَحَبَّه بالغَضْب! أنا ما لي بك حاجه»، ثم سَلَّطَ عَلَيَّ الجارية، فَشَتَمَتْنِي وَقطعَتْ ازاري وساعدها كل [من][3] في المعصره

---

(١) المِزْر: «نوع من الجعة (البيرة) كانت شائعةً في العهد المملوكي، تُصنع من الذرة أو الشعير أو القمح. يقال لها أيضاً مذرى، أي سائل الذرة». والبوزه (كلمة من أصل تُركي): «شراب مسكّر يستخرج من الشعير أو الأرز، كان يتعاطاه بعض الناس في عهد المماليك. أطلقت في بلاد الشام فيما بعد على نوع من مثلجات الفواكه أي البوظه» (عن «المعجم الشامل في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية»، لحسان حلاق وعباس صباغ، بيروت، ١٩٩٩، ص ص ٤٥ و٢٠٣).

(٢) انظر في هذا الخصوص ملاحظة قد سبقت.

(٣) في المخطوط: «ما».

عَلَيَّ، وَلاَ خَلُّوا وَلاَ بَقُّوا. فرجعت مقهوره وقلت في نفسي: «اخذ مالي وقهرني». فلما أَيِسْت منه وَغُلِبْت، ساق الله لي سيدي نور الدين حَفِظَهُ الله، فرايته ولد حلال ومن تمام السَّعْد حصولك عنده، وقد رايتك فَتًى ازعر شَاطِر، فَقَوِيَ قلبِي بأخذ ثاري عندكم، وما ظننت ان الأَمْر (٦٢ظ) يصل على ما ذكرتوه لي من قِصَّة المقدم».

[قال الراوي]

ثم قالت: «يا سيدي نور الدين، خذ للفتى سعيد جارية حبشية مليحه وَاكْسِهَا كِسْوَة فاخره وَخُذ لها فرش وكلما تحتاج اليه. وخذ هذا المال»، واعطته اربعة اكياس، كل كيس فيه الف دينار، وقعدت الى الليل ثم راحت. فاخذ سعيد الى الدّكَّة ونقا له جارية على مُرَاده وخاطره، وكساها كسوة فاخره واخذ لهم جارية للخدمة واشترى لهم ما يحتاجوا اليه. ثم رجعوا الى القاعه.

قال الراوي

ثم صارت تتردد اليهم الاثنين والخميس وما تاتي الا ومعها شي من المال حتى ما ابقت ممكن. ثم انها يوم من الايام جاءت ومعها شيءٌ كثير من المال وقالت: «يا سيدي نور الدين، لا يخفي عليك ان المحاضي اصحابي قد اتفقوا ان يكونوا عند كل واحدة يَوْماً لينظروا مَنْ يكون معشوقها اجمل وأحسن واظرف والطف مكان، وها انت[1] وعمّي سعيد تاخذوا من كل شي

(١) في المخطوط: «وهانت».

اخْسَنه واعملوا من كل شي افضله واجلمه وانت (٦٣و) يا سعيد تجلس في القاعه وكل شي جابه المكاري خذه منه واضبطه عندك حتى لا يكون المكاري يجني منه شيءٌ»، ثم مضت. فَصَار المكاري يجيب[1] بشاخِين زركش وَمَقَاعِد زركش ومَخَدَّات زركش ونحاس مكفت بالذهب والفِضَّه وَصِيني وبلور مذهب وَبُسْط شُغْل الشريف وَتُحَف مِنْ جميع الأَشْيَا حتى امتلأت القاعة وكلما جات تجيب معها شي من المال.

قال الراوي

ثم انها جاءت في بعض الأيام وقالت: «قد فرغوا اصحابي من نوبتهم وما بقي الا نوبتي، لاني أنا اكبرهم، فاكون ختامهم. فيوم السبت نكون عندك يا سيدي»، واعطته ما كان معها. ثم ان سعيد العبد اخذ مِنَ الوز والدجاج والعَسَل والسكر ونحو ذلك مما يحتاج اليه وَقَعَدُوا في الانتظار. فبينما هم جالسين - وقعدوا في انتظار مجيء المحاضي الى عندهم مع صاحبتهم - واذا بهم قد سَمِعُوا شخص يقول: «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم! رَاحُوا الكل!». فقال نور الدين: (٦٣ظ) «ما هُم يَا عم؟». فقال: «يا ولدي كُفِيتَ الشَّر! محاضي السُّلْطان دَخَلوا الى بيت بَعْض الناس فغمزوا عليهم ووصل الخبر الى السلطان، فأمر بمسكهم وتغريقهم في هذه الليلة. وأما الرجل الذي كانوا في بيته قُتِلَ ونُهِبَ بَيْتُه جميعه».

---

(١) الكلمة على الهامش.

فلما سَمِعَ نور الدين بذلك الخبر غاب عن الدُّنيا وَضَاقَتْ فِي وَجْهِهِ وقال: «ما في الحياة بعدها فايده». ثم انه أخذ في كمه كيس فيه الف دينار ذهب وطلب مصر العتيقه وقصد رايس السلطان. فلما وصل إليه قَبَّلَ يديه وعرض الأمر عليه وقال له: «أنا في عِرْضِك وهذه الف دينار ذهب وان طَلَبْتَ زيادة زدتُكَ». فقال له الرَّايس: «قل لي حاجتك تُقْضَى بعون الله تعالى». فقال: «يا رايس، لي أُخت وأنا في جيرتك». فقال له: «لو طلبت الكل اطلقتهم من اجلك». فقال نور الدين: «جزاك اللهُ كل خير والجميل ما يضيع». فقال له الرايس: «اذهب اقعد في الشمس حتى تغير لونك قليل، ثم أيتيني وَقْتَ دخول الليل». فراح (٦٤و) نور الدين قعد في الشمس حتى تغير لونه وجاء إليه وَقْتَ الليل، فَقَلَّعَهُ ثِيابَهُ والبَسَهُ جبة صوف وزنط[1] وزياه بزي البَحَّاره وقال له: «قِفْ ورائي». فما كان الا ساعة وجاء الزِّمَام ومعه الطواشية وقرَّب المركب وقال الرايس: «اين ابْني؟ قِف وناولني، ولما تجي الذي تريدها قل لي: 'امسك'، وأَمْسِك يدي». ثم قدَّموا الجميع وصار كلما قَرَّبَ له واحدة يَرْبُط أَصَابِعَهَا ويَحُط الجره في رقبتها ويكتِّفَهَا ويرميها الى البحر، والزمام واقف ينظر، حتى لم يَبْقَ غير واحدة فمسكها عرفها فقال: «يا رايس

(١) يقول أحمد السعيد سليمان في «تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل»: «في دوزي واسماعيل حقي اوزون جارشيلي: إنه نوع من القلانس لا يغطي إلا أم الرأس، ولكن الواضح من نص الجبرتي أنه كساء كالبشت» (القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٢٣).

امْسِك!»، وَمَسَك يَدَهُ، فاخذها وعمل بها مثل ما عمل برفاقها وأرماها في البحر.

قال الراوي

وكان الرايس قد عمل في المركب من برًّا شي مثل السّلّه فَأَرْمَاهَا فيه وقال: «الباقي هو الله يا اغا زِمام!». فقام الزِّمام فتَّش المركب فلم يَر أَحد فقال: «سالمين!»، ونزل نصف الليل والوالي واقف على البَرَّ. فركب وراح ثم قال لولده: «هات (٦٤ظ) المركب القَيَّاسه»،[1] فجاء بها فقال لنور الدين: «انْزِل في هذه». فنزل وأرخا له السَّلَّه وفيها الصبيَّه مُكتَّفه مَرْبُوطَه كما فعل بها أَوَّلا وقال له: «خذها لاي موضع تريد ولا تفتحها الا في مكانك»، وقال لابنه: «عَوِّم به إلى موضعٍ يُرِيدُه»، فَعَوَّمَ المركب وسار. وكان في أَيَّام النيل فاستمر يَقْدِّف به إلى أن أوصله خليج المُرخَّم. فقال: «سِرْ بي الى ذلك القيطون»، فعوم به إلى أَنْ وصل الى القيطون واذا بسعيد جالسٌ على القيطون متفكر. فلما رَأَى سيده فتح باب القيطون وحمل السَّلَّة بِما فيها ودخل بها الى القاعه. ثم أَنَّ[2] نور الدين أَعْطَى لولد الريس شي من المال والكِسْوه وتَوَجَّهَ إلى حال سَبِيله. واما نور الدين فجاء

---

(١) «القياسة: وجمعها قياييس، سفينة تستعمل في الإبحار في المياه القليلة العمق كشواطئ البحار، وتكون عادة عريضة المساحة قليلة الارتفاع بطيئة السير» (سعيد عبد الفتاح عاشور، «العصر المماليكي في مصر والشام»، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٦٣، نقلاً عن دوزي).

(٢) في المخطوط: «سيدي نور الدين»، فحذفنا كلمة «سيدي» لأن الراوي ليس العبد.

إلى السله وأخرج الصبية منها وَحَلَّ كِتَافَهَا ورش على وَجْهِهَا الماء وأسقاها سُكّر بماءِ الخَلاَّف وماالورد، ففاقت على نفسها وفتحت عيناها فرات نور الدين وسعيد فقالت: «الحَمْدُ لِلّهِ! من جابني اليكم هُنَا؟ والله طول نهاري وانت في خاطري وقلبي (٦٥و) كله عندك! لا يكون أَحَداً شوش عليكم! ولكن الحَمْدُ لِلّه ما أَحد يَعْرِف لكم طريق».

قال الراوي

ثم ان نور الدين احكا لها بما فعل الى حين وصلت الى البيت، فقالت: «جزاك الله كل خير. ومِثْلُك مَنْ يكون ولد حلال». ثم أكلوا وشَرِبُوا وَلَعِبُوا وَضَحِكُوا وَقَعَدُوا مدة من الزمان وحملت منه وولدت صبي. فبقي عمره سنة فقالت: «يا سيدي اشتقت إلى الحمام»، فدخلت الحمام وقد زاد حُسنها وجمالها، فعرفتها امراة كانت تطلع القَلْعَة من جانب الست خَوَنْد، وكانت خوند تغار من هذه اكثر مِنْ كُلِّ المحاضي.

قال الراوي

ثم ان المراة لما راتها خَرَجَتْ من الحمام مُسْرعة ولم تُكَلِّم أَحد وطلعت القلعه واعلمت الست خوند أَنَّها رأت عين الحياة في الحمام. فقالت: «تكذبي!». فَهُمْ في الكلام والسُّلْطَان داخل فَرَآهُمْ يتكابروا، فقال: «ما لكم؟». فأحكت له خَوَنْد بما قالت المرأه، فطلب الزِّمام وقال له: «روح الى الحمام مع هذه المراه وهات الذي قالت عنها (٦٥ظ) إن كان صحيح، والا قتلتها». فاخذها الزمام وراح الى الحمام، فرأوا المرأة راحت الى بيتها فقالوا للحَمَّامِي: «أَرنا بيت المرأة التي قالت عنها هذه»،

فسالوها: «عن من تقولي؟»، فوصفت لهم حلاة عين الحياة فَدَلُّوها على بيت نور الدين. فما لَحِقَتْ تَقْعُد الا والزمام والطواشِيَّةْ مسكوها هي ونور الدين وحملوهم الى حضرة السُّلْطان.

قال الراوي

فلما راى السلطان عين الحياة فعرفها فقال: «هاتوا الرَّجُل الذي كانت عنده». فلما اوقفوه بين يديه فقال له: «من اين لك هذه المراة؟ تكلم الصِّدْق!». فقال: «يا مولانا السلطان انا رجل غريب اخذت لي بيت على خليج المرخم. فبينما انا جالس ليلة من الليالي على باب القيطون واذا بشي في البحر طالع نازل ثم قرب الى عندي، فمديت يدي اليه وَأَخْرَجْتُهُ فوجدته هذه الصبيه، فقلت لها بعدما عالجتها وداويتها وفاقت على نفسها: «ما لك أهل؟». قالت: «أنا غريبه ما لي أحد». فطلبت القاضي وَتَزَوَّجْتُهَا ولها عندي سنتين». فَوَخَّرَهُ[1] وَطَلَبَهَا (٦٦و) وقال لها: «من أَوْصَلَكِ الى هذا الرجل؟». فقالت: «يا مولانا، ما رايت روحي الا في بيته في قاعة مليحة على خليج المرخّم وقال انه را[آني] في البحر واخرجني وقلت له: 'أنا غريبه'، فكتب كتابَهُ عَلَيَّ وما اعلم شيءً غير هذا».

قال الراوي

فلما راى السلطان الكلام مطابق موافق طلب نور الدين وقال: «من كتب كتابكم؟». قال: «القاضي فلان»، فطلبه

---

(١) كذا في المخطوط، ولعلها تحريف «أخَّره».

السلطان. وكان مِنْ تمام لطف الله تعالى بهم ان قال نور الدين: «خير ما يكون في الحرام. نكتب عقد نكاح على يد قاضي شرع اولى وأحسن». وكان ذلك من فضل الله تعالى وَلُطْفِه. فلما جاء القاضي وحضر سأله السلطان عن ذلك العقد. قال: «نعم، أنا عقدت عَقْدَهم». فسكت السلطان ساعة ثم قال: «مَنْ أطال الله عمره مَا نَقْدِر نُقَصِّره. ولو كان الأَمْر على خلاف هذا الوجه كان لي كلام غير هذا». ثُمَّ قال لها: «هذا ولدك منه؟». قالت: «نعم». قال: «نصيبك وعمرك باقٍ». ثم ان السلطان (٦٦ظ) أَعْطَى نور الدين ما فيه الكفايه وجعله تاجره ونديمه وأنعم عليه ببلاد واقطاع واعطى عين الحياة ما كان لها من الحُلِي والحلل وأجرى عليها وعلى ولدها انعَامَه وَنَوَالَهُ، ونزلوا مكرمين مبجلين واسْتَمَرُّوا في اطيب عيش واهناه الى أن اتاهم هادم اللذات ومُفَرِّق الجماعات ومُخْلِي القُصُور مِنْ أَهْلِ العز والرَّايات. فنسأل الله العظيم قاضي الحاجات ومجيب الدعوات الموت على الإسلام وقبُول الحسنات ودخول دار الكرامات. آمِين.

حكاية السكندري الخياط مع تنكز[1]

حكي انه كان بمدينَة اسكندريَّه رَجُلٌ خَيَّاط وكان يَعْمل كل يَوْم بدينار ذهب، وَوَرِثَ من ابيه مَال كَثِير. فبينما هُو ذات ليلة نايم واذا بهاتِفٍ يَقُول لَهُ: «هذا المال الذي معك ما لك فيه

---

(١) قد قام بتحقيق نص هذه الحكاية في سنة ١٩٩٩ المستشرق الإسرائيلي الدكتور يوسف سدان ضمن مقاله «عودة علاء الدين ومصباحه إلى جذورهما»، المنشور في مجلة «الكرمل»، حيفا، العدد ٢٠، ص ص ١٤٩-١٨٨. وقد تفضل مشكوراً الدكتور علي حسين بإرساله لنا صورة من هذا المقال الذي يصعب الآن الحصول عليه. يذكر المخطوط «دنكز» بدلاً من «تنكز». وأثبت سدان، من جملة ما أثبت، أن اسم «دنكز» ليس إلا تحريفاً لاسم «تنكز» - تنكز الأشرفي أو تنكز الحسامي -، وهو سيف الدين أبو سعيد، ولاه السلطان الناصر محمد ابن قلاوون نيابة دمشق التي شغلها من ٧١٢ هـ إلى ٧٤١ هـ. يقول المقريزي في خططه إنه «كان السلطان [الناصر] لا يفعل شيئاً بمصر إلا ويشاوره فيه وهو بالشام (...) وكان الناس في أيامه قد أمنوا كل سوء، إلا أنه كان يتخيل خيالاً، فيحتدّ خُلقه ويشتدّ غضبه، فهلك بذلك كثير من الناس، ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته. وكان إذا غضب لا يرضى البتة بوجه، وإذا بطش كان بطشه بطش الجبارين، ويكون الذنب صغيراً فلا يزال يكبّره حتى يخرج في عقوبة فاعله عن الحد». دُسَّت ضدّه الدسائس والنمائم فقُبض عليه بأمر من السلطان الناصر فحُمل إلى الإسكندرية، حيث قُتل خنقاً. راجع المقريزي، «الخطط»، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن، =

نصيب!». فانتبه مرعوبا مزعوجاً ثم توضَّا وصلى ونام، فقال لَهُ كذلك: «ما لك فيه من نصيب!». فقال لِلْهَاتِفِ: «مِنْ نَصِيب مَنْ؟». فقال له: «مِنْ نصيب محمد الفقاعي (٦٧و) بدمشق الشَّام، بحارة الفسقار». [1] فقام وهو متحير في امره وما جاءَهُ نوم. فلما اصبح تَوَجَّه الى بسطات السَّقطِيه فرأى سَبُع من نحاس مُجَوَّف، فاشتراه فراى له لولب يدور ففركه فانفتح، ثم رد اللولب فانقفل. فبعد ان راه كذلك فجمع المال الذي عنده كله وجعله في بَطْن [2] ذلك السبع النحاس وقفله وختمه بِرُصَاص وَأَرْمَى به في البحر المالح وقال: «لا لي ولا له»، ثم عاود الى بيته. فَنَدِم على مَا فَعَل ثم قَالَ: «وما أدراك ان القايل لك هذا الكلام ابن عمك او احد من أقاربك حتى أحرمك من هذا المال؟

= ٢٠٠٢، الجزء الثالث، ص ص ١٧٩-١٨٠، وكذلك صلاح الدين ابن أيبك الصفدي (الذي عاصر هذه الأحداث وعاين شخصياً الكثير منها)، «تحفة ذوي الألباب»، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان، بيروت، ١٩٩٩، ص ص ٢٥١-٢٥٨.

(١) «حارة الفسقار» وكل الأماكن الدمشقية الأخرى التي سوف تذكر في هذه الحكاية (حارة القبيبات، باب الجابية، سوق الشنجي إلخ) وجد لها سدان في بحثه القيم ذكراً في المصادر التاريخية، ولذلك نشير على من اهتم بالأمر الرجوع إليه. وكان هدفه من الجهد الذي بذله مشكوراً تحديد فترة تأليف الحكاية.

(٢) لم يثبت سدان كلمة «بطن» بحجة أنها مشطوبة، بيد أنها، وإن بدت هكذا، لم تزل مقروءة واضحة، وبالإضافة إلى ذلك، متماشية مع السياق. وقد يكون الناسخ فكر بداية أن يحذفها ليثبت على الهامش مرادفتها «جوف» (التي تستعمل في مقاطع أخرى من متن هذه الحكاية)، ولكنه لم يفعل.

وقليت عَقْلَكَ ورميت به في البحر. انما هذا جنون منك!». ثم انه صام عن الأكل والشرب وتكاسل عن الشغل مرة واحدة، ثم قال: «والله لا بُدَّ أَنْ أُسَافِر الى الشام وأسأل عن هذا الرجل وانظره». ثم باع ثياب بدنه وسافر الى ان وصل الى الشام. فلما وصل الى حارة القبيبات اشتروا منه الحمار ودخل وهو يسأل عن الفِسقار، الى ان وصل إلى باب الجابيَة، فراى دكان فقاعي ما مِثْلَها في الدنيا وفيها من النحاس المكفت بالذهب والفِضَّة من كل نوع، وراى عدة (٦٧ظ) والة وصبيان وَعَبيد. ثم نَظَر في وَسَط الدكان واذا به قَدْ راى السبع النحاس الذي حط فِيه المال ورماه في البَحْر المالح، وَقَدْ زيّن به الدكان بَيْنَ العِدَد. فلما راه طار عَقْلُه وَدَهِشَ لُبُّهُ وَوَقَفَ متحيراً فرآه صاحب الدكان فجاءه وسلم عليه وقال له: «من أَيْنَ أَنْتَ؟». قال: «مِن اسْكَندريه». قال: «متى جئت؟». قال: «هذا الوقت». قال له: «عمرك ما دخلت الشام؟». قال: «لا». قال: «هل تعرف احد في هذه البلد؟». قال: «لا». فعزم عليه وأدخله الدكان، فرأى مكان مليح مفروش فَأَجْلَسَهُ فيه ساعة واذا بسفرة فيها من ساير الطعام. فَأَكَلُوا حتى اكتفوا ثم قال صاحب الدكان للاسكندراني: «هذا المكان مَكَانَكَ»، وحلف عليه انه ما يروح من عنده. فلما قال له ذَلِكَ وَجَبَرَ بخاطِره قال: «اريد أسألك سؤال». قال: «قُلْ». قال: «هذا السبع النحاس من اين وصل اليك؟». فقال له: «موضع تنزل فيه الذي يأتوا بالبطارخ[1] يبيعوه، ولنا فيه اصحاب

(١) أي ما يأتون به من البطارخ.

وبيننا وبينهم معاملة. فذكر[1] واحد منهم انه كان يَصْطاد في البحر المالح فرما الشبكه فطلع السبع النحاس. (٦٨و) قال: 'هذا ما يصلح الا لدكان مليح مثل دكان محمد الفقاعي'، فجابَهُ لِـي». فقال له الخياط: «هل فتحته؟». قال: «لا». فقال له: «هاته»، فجابه وَأَخَذ سِكِّين وَقَد الرّصَاص المَسْبُوك وفك اللولب فانفتح فَمُه، فقال له: «افتح حجرك!»، ففتحه فافرغ له الذَّهَب. فلما رَآهَ الفقاعي قال: «كيف هَذَا الأَمْر؟». قالَ: «هذا مِلكَكَ وَنَصِيبك». قال: «اخبرني عن السبب»، فأخبره القِصَّة بتمامها وكمالها. فقال: «خذ لك النِّصْف وَدَع النِّصْف». قال: «ما اخذ منه شي. ما لي فيه نصيب ابَداً! ثم شيءٌ أَقْوَى من رَمْيِ لَهُ في البَحْرِ المالح وَوَصَل اليك؟ كيف اخذ منه شي؟ هو حلال لك، بارك الله لك فِيه!». فقال له: «اقعد عندنا». فَقَعَدَ عِنْدَهُ ثلاثة ايام ثم ضاق صدره فقال: «انا راجع الى بلدي»، فتدخل عليه ان يقيم عنده فابى، ثم اعطاه شي من المال فأبى ان ياخذ شي منه، وكان معه شي من المال، نحو مايتين دينار، ثمن الحوايج الذي باعها. فقال له: «اصبر حتَّى نجعل لك زواده»، فعمل له خمس طيور دجاج وَحَمَّرهم وحط في كل واحدة منهم عشرة دنانير وعمل له عشرة ارغفه خبز وجعل له في قَلْبِ كل رغيف خمس دنانير[2] (٦٨ظ) وجعلهم في السُّفْرَه وأَعْطَاهم له وَوَدَّعَهُ. وخرج من الشام قاصد بلده، فلما خرج الى طرف المدينة رأى انسان

(١) وفي سدان: «فذكروا».

(٢) جملة «كل رغيف خمس دنانير» سجلت على الهامش.

يبيع فقاع فَطَلَبه يَشْرَب مِنْهُ. فبعد ان شرب منْهُ قال في نفسه: «الدرب مَلآن بالزاد، والقُرَى في الطريق كثير وفيها ما تحتاج اليه. بع هذا الزاد الذي معك للفقاعي!»، فعرض عليه فاشتراهم منه بعشرة دراهم، فَأَخَذَهُمُ الفقاعي وَجَاءَ الى معلمه وقال: «يا معلم، قد أخذت اليوم بيعه مليحه بعشرة دراهم، فان فَوَّدْتني فيهم بِعْتُهم لك». قال: «ارني انظر اليها»، فاراها له واذا هي زوَّادة الخياط السكندري، فَأَخَذَهم مِنَ الصبي واخذ ما فيهم ثم دفعهم الى صُنَّاع الدكان والعبيد، فاكلوهم. وسبحان مُقَسِّم الارزاق الكريم الخلاق! ثم ان السكندري الخياط قال في نفسه: «أَنْتَ جِئْتَ إلى هذه المدينة وخرجت منها قاصد بلادك وما رايت غير دكان صاحبك الفقاعي وما رايت جامع بني اميَّة ولا تَفَرَّجْتَ في باب البريد ولا رايت (٦٩و) الزبور والجبهة والمرجه ولا رايت شي من ذلك! فما تقول للناس إذا سأَلُوك عن شيء من ذلك؟ ولكن الأحسن ان ترجع وتتفرج وتلحق بعد ذلك الى الرجوع إلى بلادك». ثم رَجَع وجاز على باب الجابيه ثم على دار السعاده وراى القلعه ووقف ينظر ويتفرج، واذا بامْرَأَة مارَّة وَمَعْهَا عَجُوز وجارية، وهي مثل البدر المشرق. فلما راها السكندري الخياط ونظر اليها[1] نظرة، اعقبته تلك النظرة حَسْرَه وَتَعَلَّق قلبه بها وكلمها فلم تكلمه ولم تزل تَمْشي وهو خلفها يكلمها ويتخضع لها فلم تَرُدَّ له جواب، الى أَنْ دخلت الى الحمام، فتغسلت ثم خرجت ووجهها مَكْشُوف وظنت ان ما في طريقها

(١) في المخطوط: «ونظرالها»، ولعلها «نظر لها»، فتكون الألف زائدة.

احد، وكان الخياط جالس فَرَأَى وَجْهَهَا فزاد عشقه وهام قَلْبُه، فاخذ يكلمها ويقول: «يا سِتِّي، صح حمامكم والذ صحه وعافيه»، فما ردت عليه جواب. ثم زاد في القول الى ان قال: «يا ستي، تَعْلَمِي أَنَّ النار في قلبي! ارحميني!»، واستمر على ذلك الى ان قرب دار السعاده (٦٩ظ)، فالتَفَتَتْ اليه العجوز وقالت له: «يا ولدي، كانك غريب». قال: «نعم يا سِتِّي». قالت: «رُوح في حالك. أنت ما تعرف لمن أنت تابع ولا لمن تكلم! هذه بنت تنكز[1] نايب الشام. لا انت من رجالها ولا هي من نسايك! ارجع إلى طَرِيقِكَ قبل ان يَنْظُرك أَحَدٌ تروح رُوحَكَ!». فرجع وهو سكران من غير خمر وزاد به العِشْق والوَجْد والغَرَام، فَمَشَى الى تحت القَلْعَه وَرَقَدَ في بعض الجوامع فلم ياخذه نومٌ ولا قرار. فلما اصبح الله بالصَّبَاح خَرَجَ من الجامع وهو حاير لا يدري ما يفعل، وَصَار لا يَأْكُل وَلاَ يَشْرَب، فبقي داير من سوق [إلى سوق] ومن حارة إلى حارة، الى ان جاء الى سوق الشنجي، فَرَأَى فِيه خَيَّاط في دُكَّان مليحة كبيرة وَعِنْدَهُ صناع بكثرة وَأَشْغَال. فوقف ينظر إليهم فقال له المعلم: «كانك خياط». قال: «نعم». فقال له المعلم: «اطلع اشتغل، خير لك مَنَ البِطَاله». فقال[2] [في نفسه]: «اطلع شاغِل نَفْسَكَ

---

(١) في المخطوط «دنكر» بدلاً من «دنكز». والصواب، كما أسلفنا معتمدين على سدان، هو «تنكز».

(٢) في المخطوط، بحبر لونه مختلف، «فقلت». وبما أن الخياط لم يتحول إلى الراوي الرئيسي في هذا المقطع، رأينا أن نستبدلها بـ«فقال»، ونردفها بـ«في نفسه»، لأن الخياط لا يجيب مباشرة على المعلم بل يخاطب نفسه.

بالكلام مَعَ الصُّنَّاع». فطلع فَقَدَّم له المُعَلّم شغل ونظر إلى أياديه فراه صانع جَيِّد. فَأخذ مِنهُ ذلك الشغل (٧٠و) لبنت نايب الشام، فيه كل ذراع بمائة دينار وكان بالأمر المقدَّر ما عند ذلك المعلم احد مِنَ الصناع يعرف يخيط فيه ابره. فاخذه وخيط فيه والمعلم ينظر اليه، فراه بهلوان.[١] فقال له: «ما انت الا معلم!»، ثم ان المعلم قال: «نريد ان نعمل ضيافة[٢] لِأَجْلِ قُدُوم هذا الشاب علينا». وكان المعلم الخياط هو معلم الخزانه. وَعَمِلُوا له ضِيافة ثلاثة أيَّام، ثم أن المعلم اَكْرَمَهُ وامره بالنيام في البيت. فقال له: «ما أنام اَلا في الدُّكَّان»، ثم بعد مدة كره النَّوم في الدكان فقال: «يا معلم خذ لي مكان أَنَام فيه!». فقال واحد من الصُّنَّاع: «عِنْدَنَا قاعه!». وقال آخر: «عندنا مُرَبَّع!». فقال: «ما أُريد الا مَوضِع وَخدِي!»، ثم قال اخر: «والله يا معلم عندنا قاعه[٣] لفلان

---

(١) «بهلوان: البطل، الشجاع. تطلق اصطلاحاً على من يلعب رياضة تتطلب رشاقة عالية ومقدرة فائقة في القفز ونحوه» (حسان حلاق وعباس صباغ، «المعجم الشامل في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية»، بيروت، ١٩٩٩، ص ٤٤). ومن الواضح أن المعنى توسّع ليشمل العامل الماهر في صناعته، «الأسطى».

(٢) كلمة لم نتبينها، وقد تقرأ «سيبانه» أو «سبيانه». اتبعنا ما أثبته سدان.

(٣) هناك في طبيعة الحال فرق بين المربع والقاعة، فالأول هو «كل شيء له أربعة أركان، وبالتالي أربعة جوانب، وقد يطلق على موضع مربع الشكل مثل ساحة أو دهليز» (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، «المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية»، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٠٣). وأما القاعة ففي «عمارة العصر المملوكي القاعة هي دائماً وحدة داخل الدار إما بالدور الأرضي أو بالأدوار العلوية» (نفس المرجع، ص ٨٧).

الفلاني ما في الشام مِثْلَهَا، الا [ان] فيها عيب قبيح: كل من سكن فيها يصبح ميتا». فقال السكندري: «يا معلم خذ لي هذه القاعه». قال: «يا ولدي، انت ما لك عقل؟». قال: «يا معلم، احد يموت بغير حضور اجله؟». قال: «لا». قال: «حينئِذٍ خُذْ لي هذه القاعه!». فقال المُعَلِّم: «فقوموا (٧٠ظ) حتى ننظرها». فقاموا وَأَخَذُوا المِفْتَاح مِنْ صاحِبها، ففتحوا ودخلوا، فرأو[ا] قاعه مليحه مُرَخَّمة بِرُخَام ملونات قايم لايم مُكَفَّت بالذهب واللاَّزوَرْد، بفسقيه مَرْمَر في وسطها وَفَوَّارَات. فقال السكَنْدَرِي: «توكلت على الله!». فقال المعلم: «اخاف عليك». فقال: «ما أسكن الا فيها»، وقالَ في نَفْسه: «الموت اهون مِنَ العشق فيمن لا يَعْرِف اين انا واين مالي[1] وغربتي. وأسْتَرِيح مِمَّا أَنَا فِيه». ثم انهم مَضَوا الى صاحبها وقالوا له: «بكم اجرة القاعه في كل شهر؟». قال: «ما اخذ منه شي. ياخذها بلاشي ولكن مَهْمَا أَصَابه ما أُطَالَبْ به، واشهدوا عَلَيَّ أَنِّي قبضت منه أُجْرَة خَمْسُ سنين». فشهدوا عليه[2] الاثنين وتسلم القاعه. ثم انه تَحَزَّمَ بحزامِهِ وَغَسَلَهَا وَكَنَسَهَا وَنَظَّفَهَا وَغَسَلَ بلاطها وَمَسَحَهَا وبخرها وأرسل له المعلم الخياط حُصْر وَبُسْط وفرش ونطع وَمَخَدَّاتٍ. ففرشها ووضع كل شي في محله ثم راى فيها قَنْدِيل بَلُّور فأخذه ومسح ما عليه من التراب وجلاه بالرماد والرمل، فوجده بلور مذهب ما له نظير. (٧١و) ثم راى بجانبه سِلْسِلَة، فجلاها

---

(١) في المخطوط، بعد هذا، «واين»، مشطوب.

(٢) في المخطوط: «عَلَيّ».

ونظفها، فوجدها مُصَاغة[1] مِنَ الذَّهَب والفِضَّة. ثم عَلَّقَ فيها ذلك القنديل البلور وَجَعَله في مكانه في وَسَط القاعة. ثم جعل فيه الزَّيْت بعد ان وَضَع فيه المآء والفتيلة، وقال في نَفْسِه: «هذا خير مِّنَ السِّراج والشمعدان». ثم بَخَّر المكان بالبُخُور والنَّدِّ وراح الى شغله إلى الليل وَتَعَشَّا عند المعلم وجلس يتحَدَّث إلى بَعْد العشا. ثم أخذ له شَمْعَة واشعلها واشترى قِرْطاس حلاوه ودخل الى قاعته وأَشْعَل القنديل وَجَعَل الشمعه في الشمعدان قُدَّامَه، وَقَدْ دَخَلَتْ على قَلْبِهِ الفِكْرَه كيف يَمُوت في هذه القاعه عَلَى أَيِّ حَالَة، وتوالت عليه الفِكَر مِنْ جِهَة الغربه ومن جهة المال، واشتد عليه الحال، خُصُوصاً مِنْ جانبِ المراة التي كان راها، واشتد العِشق، فجعل راسه بَيْنَ ركبتيه واسنَدَ ظهره الحَيْط، فَسَمِعَ حِسّ مَشْي، فَرَأَى رُخَامة في وسط القاعه ارْتَفَعَتْ وخرج من تحتها عفريب رَأسُه في السقف وَرِجْلَيْهِ في الارض، بصورة مُنْكرة. فَلَمَّا راه جَمِد وَأَيْقَنَ بالموتِ (٧١ظ) وَتَشهد وقال: «الحَمْدُ لِلّه!». فقال له العفريب: «لا تخاف، ما عليك باس. اعلم ان هذا القَنْدِيل هو رُوحي، وانه مُعَامِرِي. قد صَنَعَتْهُ بعض الحُكما مَرْصودٌ عَلَيَّ. فَمَنْ وَسَّخَه او تفل عليه قَتَلْته. وصار كل مَنْ سَكن في هذه [القاعة] يُنَجِّسُه وَيُوَسِّخُه ويتفل[2] عليه، فَكُنْتُ أَقْصِفُ رقابَهُم. واما انت فغسلته ونظفته وَنَوَّرْتَهُ، فما لك عندي إلاَّ الكرامة. وَأَحْضُر عِنْدَكَ وَأَقْضِي جميع

---

(١) في المخطوط: «مُصَاعة».

(٢) في المخطوط: «وَلَيتفل». ولعلّها «أو يتفل».

حوايجك. مَا دُمْتَ سَاكِنٌ في هذه القاعة أنا في خدمتك. فهل لك من حاجة اقضيها لك؟». قال: «وتفعل؟». قال: «نعم، اطلب ما تريد ولا تخاف». قال له: «هات لي بنت تنكز نايب الشام». فراح غاب قليل واتى بها في اسْرَع وقت. حَطَّها قُدَّامه وهي نايمه وقال: «هل بقيَ لك حاجة؟». قال: «نعم! هات لنا ما نأكل وما نشرب»، فجاب له لحم وخبز ونقل وفاكهة وشراب وجميع ما طلب. وقال له: «هل بَقِيَ لك حاجَة؟». قال: «لا، انصرف في أمَانِ الله». قال: «بكره اكون عندك»، وانصرف. ثم ان الشاب السكَنْدَرِي الخياط نبَّه البِنْت مِنْ نومِها، فقامَت مَرْعُوبَه (٧٢و) خايفه. فقال لها: «لا تخافي»، وَطَيَّبَ قَلْبَهَا وَقَعَدُوا. ثمَّ قَدّم لها الاكل والشرب، فاكلت هِيَ وايَّاهُ وشَرِبُوا ولعبوا وانبسطوا الى الصَّبَاحِ. ثم جَاءَ المُعَلِّم الخياط وصُنَّاعه لينظروا حال صاحبهم، هل مات أوْ لاَ؟ فدقوا عليه الباب فطلع لهم وَاطمأنُّوا عليه وَهَنُّوهُ بالسَّلامه. فقالوا له: «امش مَعَنَا الى شغلك». فقال لَهُم: «انا اليَوْم في دار الراحة مُسْتريح». فتركوه وشانه وَرَاحُوا إِلَى اشغالهم، ثم جَاؤُوهُ ثاني يَوْم، فَقَال لهم كَذَلك، وَلَمْ يَعْلَمُوا ما هو فِيه مِنَ اللذة والطَّرَب، ومع ذلك ان العفريب واقف بخدمته ياتيه بكل ما طلب. فقعد على ذلك الحُكم خَمْسَة عشر يَوْماً، وبنت نايب الشام عنده على اكل وشرب وَبَسْط ولَعِب وانشراح وما معهم خبر من الدُّنْيَا إن كانت عمرت او خربت. ثم ان المعلم الخياط جاء اليه وقال له: «يا ولدي، اخرج انظر إلى الشام! انقلبت والناس في هم وغم عظيم!». قال: «لاي شيءٍ يا معلم؟». قال: «بنت نايب الشام

فقدت والوالي عَمَّال يكبس البيوت والاماكن، والعَسَاكر طايفين يَدُورُوا عَلَيْهَا وَتفرقُوا (٧٢ظ) في كل مكان وفي ساير الطرقات».
قال: «في غد اخرج». فلما كان الليل جَاءَهُ العفريب وقال: «هل لك من حاجة؟». قال: «وَدِّي هذه الى مَوْضِعَها»، فوداها الى محلها. ثم خرج بكرة إلى دكان المعلم وَسَلَّم على الصُّنَّاع وَقَعَدَ في شُغله قَدْر ساعَةٍ واذا بالبشارة قد ظَهَرَتْ وقالوا: «قَدْ جَّاءَت بنت نايب الشام!». قالوا الناس: «اين رَأَوْها؟». قالوا: «في مرقدها!». فدخل عليها ابوها وقال لها: «يا بنتي، أَيْنَ كُنْتِ؟».
قالَتْ: «لا أعلم غير اني كنت نايمة في مرقدي هذا، فما شعرت الا وانا في قاعة مليحة عند شاب». فقال لها: «تعرفي القاعه؟».
قالت: «من اين اعرفها ولا اعرف أَهِيَ في الشام أَمْ في غَيْرِهَا!».
قال: «صفيها»، فوصفتها له. قال: «ما تكون هذه الصفه الا في هذه المَدِينَة». قال: «فما كان ماكولكم؟»، فاخبرته بما أَكَلُوا وَشَرِبُوا. قال: «هذا الماكول من ماكول هذه المدينة». قال: «هل تعرفي الرجل؟». قالت: «كيف ما اعرفه ولي عنده نصف شهر ليل ونهار؟». قال: «هل قرب منك؟». قالت: «يا ابت، لماذا كنت عنده ولماذا اخذني وحصل لي ما حصل؟». قال: «لا حول (٧٣و) ولا قوة الا بالله العلي العظيم!». ثم خرج وقال: «اريد اعمل ضيافة لأهل البلد حلاوة السِّتّ ولا يتأخر عَنْهَا أحد». فجمع السوقه والخبازين والطباخين وَعَمِلَ في مِيْدَان الشام وليمة عظيمة ونادا معاشر الناس: «من لا يَحْضُر وَلِيمَة نايب الشام فَقَدْ عاداه!». ثم جَاءَتِ الناس شيئاً فشيئاً واجلس بنته في مَحَلٍّ مُشْرِفٍ على كل من دخل وقال لها: «اذا رأيتي الشاب

الذي كنتي عنده ارمي عليه هذا المنديل». فجلست تشرب[1] الناسَ واحداً بَعْد واحد، وكل طايفة تاتي بطاقتها[2] وَيَسْأَلُوهُمْ: «هل تأخَّر[3] [و]تخلف مِنْكم احد؟»، وَيَقْسِمُوا عليهم. إلى أن جَاءَت طايفة الخياطِين، فسالوهم: «هل تخلف منكم احد؟». فقالوا: «لا». فحلفوهم فقالوا: «ما بَقِي إلا رَجُل غَرِيب ما هُوَ طيب». قالوا: «لا بد مِنْ حضوره»، فَأَرْسَل خلفه فحضر. فلما وَصَل وَدَخَل من باب الميدان عرفته البنت وَأَرمت عليه المنديل، فطلع ابوها الى عندها وقال لَهَا: «عرفتيه؟». قالت: «هذا هو الرجل!». فنزل وقال للخازندار:[4] «رَسّم على ذلك الرجل واذا (٧٣ظ) فرغ من الاكل واراد الرواح فلا تمكنه من الرواح». ثم ركب تنكز وراح الى دار السعاده بعد ان امر بالترسم على ذلك الشاب. فاخذته المماليكْ وتوجهوا به الى دار السعاده واعلموا النايب. قال: «احتفظوا عليه حتى اطلبه». فلما كان الليل وصلى النايب العشا قال للطواشِيَّه: «احضروا الرَّجُل»، فاحضروه. ثم

---

(١) في المخطوط: «تَشرب»، وهي، كما يلاحظ الأستاذ سدان، «تُشْرِب».

(٢) هذه قراءة غير مؤكّدة. فهم سدان أنها «بطا[يـ]ـفتها».

(٣) تبدو كلا الكلمتين «تأخر» و«تخلف» مشطوبتين، كأن الكاتب تردد بين شطب هذه أو تلك، ولذلك أبقيناهما في المتن.

(٤) «من 'خزانة' العربية و 'دار' بمعنى ممسك، أي ممسك الخزانة أو المسؤول عنها. 'والخزندار والخازندار' مصطلح كان يطلق في العهد المملوكي للدلالة على المتصدي لخزانة السلطان وقد بات من يتولى هذا المنصب بمثابة وزير لمالية السلطان» (حسان حلاق وعباس صباغ، «المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية»، بيروت، ١٩٩٩، ص ٨٢).

احضر بنته وقال لها: «يا سَيِّدَتي انظري الى الرجل. هَلْ هُوَ غريمُكِ أَمْ لاَ؟ فلا تَحْمِلِي دمه باطل!». قالت: «كيف لا اعْرِفُه وَهُوَ صاحبي خمسة عشر يوم؟». فالتفت اليه تنكز وقال له: «ما حَمَلك على ما فعلت؟ انت ما لقيت اقل مِنِّي تَلْعَب مَعَهُ؟ انت ما تعرفني؟ اما سمعت بي؟ ما أنا تنكز الَّذِي تخافني الأُسُود في البَرِّية وقد احْتَقَرْتَنِي وكَسَرْتَ ناموسي ولا خفت سَطوتي وَخَاطرت بنفسِكَ؟». فقال: «يا مَوْلانا ملك الأُمَرا، [ا]سْمَعْ قِصَّتي وَأَصْغَ لمقالي وافعل ما بدا لك» - ثم انه قص عليه قصتـ[ـه] بتمامها وكمالِهَا، وكيف كان خُرُوجه مِنْ بلاده - «وجميع ذلك، يا مولانا، بتقدير الله تعالى، واذا قَدَّر الله عَلَيَّ هذا (٧٤و) كيف أَدْفَعُه؟ وَرَأْي مَوْلاَنا اعلا وهذه قِصَّتِي وانت في حِلٍّ من دَمِي، لا واخذك الله به وقد وقع الخطا مني. وأنا الجاني على نفسي والموت عندي خير من هذه الحياة الذي نشَأَ فيها الغم والهم والعِشق والغُرْبه». ثم سكت. فاطرق تنكز ساعَة ثم التفت الى بنته وقال: «ما تقولي في هذا الأمر؟». قالت: «الأَمْرُ اليك، وَأَنَا وَهُوَ بَيْن يديك». تم التفت الى الشاب وقال له: «ايش اعمل معك؟». قال: «أَمَّا انا فقد جَعَلْتُكَ في حل مِنْ دَمِي. ان لم يقع اتِّصَال فالمَوْتُ اطيَبُ مِنَ الحياة الذَّمِيمه». قال: «ازوجك بها؟». قال: «انت اكرم من هذا!»، ثم بكى ورما نفسه على اقدامه يقبلها. فلما سمع تنكز ذلك قال للزمام: «اطلب القاضي والشهود»، ثم كتب كتابه عليها واصرف القاضي وشهوده. ثم طلب أُمَّها وقال لها: «اني زَوَّجْتُهُ بها، فأدخِلِيْهَا على زوجها في هذه السَّاعه». قالت: «اصبر حتى نعمل فرح». قال لها: «ما

حاجه فرح. قومي فَأَفْرِدِي لهم مكان يناموا فيه». ففي الوقت والساعه (٧٤ظ) اخلوا لهم مبيت ولبَّسُوها وَأَدْخَلُوها عليه في تلك الليلة. فلما اصبح الصباح ركب تنكز وَرَجَعَ مِنَ الموكب. [ثم] جلس هو والأُمَرَا والقضاة ومشايخ الإِسْلام، فقال لهم: «تعرفوا ما وَقَع في هذه الليلة؟». قالوا: «خير يا ملك الأُمَرَا!». قال: «انا قاعد ودخل علي ابن استاذي الذي رباني وكان له عليَّ فضل كبير، فما عرفت بِمَا اقابله فزوجته بنتي وعملته دويدار كبير. فمن احبني فليُكرِمُه». ثم طلبه وخلع الدويدارية[1] وأَعْطَاهُ ثقل وجمال واموال وَنَوَال، وحملت له الأُمَرَا والعَسَاكر والقُضَاة وَأَهْلَ الشام مِنَ الأَكَابر الهدايا[2] والتُّحَف، وَصَار من اكابر الأُمَرَا واغناهم وأَسْعَدهم، وَقَعَدَ هُوَ وزوجته في اطيب عيش واجمله واهناه، الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، والله اعلم بالصواب، وَالحَمْدُ لِلّهِ الكريم الوهاب.

---

(١) الدويدار قد مضى شرحه. وأما الدويدارية (أو «الداويدرية»)، فإنها «وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض القصص والبريد وأخذ الخط السلطاني على عامة المناشير» (محمد أحمد دهمان، «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي»، بيروت/دمشق، ١٩٩٠، ص ٧٧). ومما قد يساعد على تحديد الفترة التي بها أُلفت بعض حكايات هذه المجموعة، توضيح لأحمد السعيد سليمان: «وكانت الدوادارية في دولة المماليك وظيفة صغيرة، يقول ابن تغري بردي: 'وأما الدوادارية فكانت وظيفة سافلة، كان الذي يليها أولاً غير جندي، وكانت نوعاً من أنواع المباشرة' ٧/١٨٥. ولكن هذه الوظيفة عظمت في منتصف القرن الرابع عشر (. . .)» («تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل»، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١١٠).

(٢) في المخطوط: «الأكابر والهدايا»، ورأينا أن الواو زائدة فحذفناها.

حكايه لطيفة ظريفه[1]

حكي ان فتىً من ذوي النِّعَم قَعَد به زَمَانُه حتى لم يبق له سوى جارية جميلة الحُسْن. وكانت جيدة الغنا، فضاق بِهـ[مـ]ـا الوَقت واشتد بهـ[مـ]ـا الحال، ولم يجدا ما يقتاتـ[ـان][2] به. فقال (٧٥و) لها: «ما تَرَي ما صرنا فيه من ضيق العيش؟ واريد ان أَفْعَل أَمْراً والمَوْتُ عِنْدِي أَهْوَن من ذلك». قالت: «وما هو يا سيدي؟». قال: «خاطري ان ابيعك لمن يُحْسِن إليك وتعيشي عنده بالرَّاحة والهنا، وانتفع انا بالثَّمَن ولعل الذي تصلين اليه يكون ذو[3] رأفةٍ ورحمة فيعتقكي ثم ترجعي بعد ذلك اليَّ». فقالت: «والله يا سيدي إن موتي عندي على هذه الحالة معك خير من فراقك ولا أُقَدِّم عليك احد وَلَوْ كان الخليفة، والأَمر اليك فيما تُرِيدُهُ وَترى فيه خلاصَكَ». فخرج وعرضها للبيع

---

(١) وردت هذه الحكاية بصيغة مختلفة في كتاب «ثمرات الأوراق»، لابن حجة الحموي.

(٢) أُجريت التصحيحات اعتماداً على ما ورد في «ثمرات الأوراق».

(٣) في المخطوط: «ذوا».

فاشار اليه بعض المُحسنين[١] مِنْ اصحابه ان يحملها الى ابن معمر أمير العراق.[٢] فحملها إليه فلما عرضت عليه اعجبته، فقال لمولاها: «كم شراها؟». قال: «ماية ألف درهم وَقَدْ انفقت عليها مالا كثيرا حتى صارت في هذه المرتبة والمعرفه». قال: «أمَّا ما انفقت عَلَيْهَا فذلِكَ لِحَظٍّ نَفْسِكَ وَشَهْوَتِك. وأَمَّا ثَمَنَها فقد امرنا لك به وهو المائة الف[٣] دِرْهَم وزدناك عشره اضعافاً (٧٥ظ) مِنَ الثياب وعشر رُؤُوس مِنَ الخيل وعشر رُؤُوس من الرَّقِيق. ا رضيت؟». قال: «نَعَم». فأحضر الأمير ما أمر به ثم أمر قهرمانة بِإدخال هذه الجارية الى دار الحريم، فامسكت بجانب الستر وانشدت تقول:

هنِيئاً! لك المال الَّذِي قد أَفدَيْتُه

وَلَمْ يَبْقَ في كفَّيَّ غير التَّفَكُّرِ

---

(١) في متن المخطوطة كلمة مطموسة، وعلى الهامش «المحين»، مما نظنه كتابة مخطئة لـ«محسنين». وفي «ثمرات الأوراق»: «فأشار عليه أحد أصدقائه ممن له رأي».

(٢) في المخطوط: «ابن معمر أمير المؤمنين أمير العراق». وكلمة «معمر» شبه مطموسة. وأغلب الظن أن الناسخ كتب «أمير المؤمنين» سهواً ثم فاته شطب الكلمتين. والشخصية المذكورة إما تكون عبد الله ابن مَعْمر القرشي التيمي، الذي يرد ذكره في مقطع آخر من «ثمرات الأوراق»، حيث يعد من الأجواد الخمسة في البصرة، أو تكون عبد الله ابن مَعْمر القيسي، الذي عاصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ويروي عنه كتاب «ثمرات الأوراق» قصةً يصفه بها انه كان «أميراً من أمراء العرب وكان بطلاً شجاعاً جواداً ذا مروءة وافرة».

(٣) في المخطوط: «المأية».

أَقُول لِنَفْسِي وهي في كرباتها
أَقِلِّي فَقَدْ بان الحبيب او اكثري
اذا لم يكن لِي فِي ودادك موضع[1]
وَلَمْ تَجِدِي بُدّاً مِنَ الصبر فاصبرِي
[فبكى][2] مولاها واجاب قايلا:
ولو لا قُعُود الدَّهْرِ بي عَنْك لم يكُن
يُفَرِّقُنَا شي سِوَى الموت فاعذري
أَرُوح بِقَلْبٍ مِنْ فراقك موجع
أُناجِي به صَبّاً قليل التَّصَبُّرِ
[عليكِ][3] سَلامي! لا زيارة بيننا
وَلاَ وصل إلاَّ أَنْ يشآءُ ابن مَعْمَرِ

فَأَجابهم ابن معمر وقال لها: «قد شئت! فخذها، بارك الله لك فيها وفيما وَصَل اليك مِنَ المال والنوال». فاخذها سَيِّدُهَا واخذ الخيل والرقيق وانصرف شاكرا له ولمن دله على هَذَا الكريم، ثم رَجَعَ الى محله وقد حسن حاله مِنْ أَمْرِ الدنيا (٧٦و) وقعد هو والجارية في الذ عيش واهناه الى أَنْ أتاهم هادم اللذات وَمُفَرِّقُ الجماعات. واللهُ اعلم بالصواب.

(١) ويروى صدر البيت في «ثمرات الأوراق» كالآتي: «إذا لم يكن للأمر عندك موضعٌ».
(٢) ما بين العضادتين من «ثمرات الأوراق». وفي المخطوط بياض مكان هذه الكلمة.
(٣) ما بين العضادتين من «ثمرات الأوراق». وفي المخطوط: «عَلَيَّ».

حكاية ظريفه لطيفه[1]

حكي ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان ذات ليلة مِنَ الليالي مارّا في مَقَاصِير جواره اذ رَأَى جارية تُسَمَّى سكرانه وَعَلَيْهَا رِدَا خَزّ تَسْحب اذياله. فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا فقالت له: «يا أَمِير المومِنِين انا على ما ترى، ولكن في غداة غَدٍ اوفيك الوَعْد الذي طلبته مِنّي». فلما كان في غَدٍ جاءَ إِلَيْهَا وَطَلَبَ مِنْهَا الوَعْد الَّذي وَعَدت به، فقالت له: «يا أَمِير المومنين، بَلَغْتَ السِّن وما علمت ان كلام الليل يَمْحُوه النَّهار؟». فَغَضِبَ وَرَجع الى حاله. ثُمَّ أَنَّ طارقاً طرق الباب. فقال: «مَنْ بالباب؟». قالوا: «شُعَرَاء النوبة». قال: «اذْخُلُوا»، فدخلوا فقال: «لِيَقُل كُلاً مِنكم شعر يكون آخِره 'كلام الليل يَمْحُوه النهار'»، وكانت النَّوبَة على الرُّقاشِي وَمَصْعَب وَأَبُو النوأَس.[2] فَأَوَّل مَنْ انشد الرقاشي هذه الابيات - شعر: (٧٦ظ)

---

(١) وردت هذه الحكاية، بصيغ وشخصيات مختلفة، في بعض المصادر العربية كـ«ـالعقد الفريد» لأحمد ابن عبد ربه إلخ.

(٢) «مَصْعَب» هو مُصعب (بضم الميم) بن عبد الله الزبيري، نسابة ومؤرخ وثقة في الحديث. كان الشعر من أقل معارفه. صاحب «نسب قريش». ولد في المدينة وتوفي في بغداد سنة ٢٣٦ هـ. أما «الرقاشي» فهو الفضل =

اتعذلني وَقَلْبِي مُسْتَطَارُ

وَقد مُنِعَ الْقَرارُ فَلاَ قَرَار

أُحِب مَلِيحة صادت فُؤَادي

بِأَلْحَاظٍ يخالطُهَا احْوِرَارُ

فَلَمَّا أَنْ مَدَدْت يَدِي الَيْهَا

لِأَلْمِسَهَا بَدَا مِنْهَا نِفَارُ،

فَقُلْتُ: 'الوَصْل سَيِّدَتِي!' فَقَالَتْ:

'كلام الليل يَمْحُوه النَّهار'.

فتعجب أمير المؤمنين من فَصَاحَة الرقاشي على مطابقته الكلام. ثم انشد مَصْعَب يقُول هذه الابيات - شعر:

متى تَضحى وقلبك مُسْتَطَارُ

كئيباً لاَ يَقر لَهُ قَرَار

وَقد تركتك صَبّاً مُسْتَهَاماً

فتاة لا تَزُورُ وَلاَ تُزَارُ

إِذَا اسْتَنْجَدْتَ مِنْهَا الوعد قالت:

'كلام اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَار'.

فتعجب الخليفة مِنْ فَصَاحَة هذا الشاعر، ثم ان ابو النوأس كان آخر الشُّعَرَا. فانشد وَجَعَلَ يقُول - شعر:

= بن عبد الصمد، لقب بالرقاشي لأنه كان مولى لبني رقاش. من أهل البصرة. توفي نحو سنة ٢٠٠ هـ. وأبو نواس (ويكتب كذلك «نؤاس» بالهمزة على الواو) فهو الحسن بن هاني، من مواليد سوق الأهواز سنة ١٤٠ هـ. من أهم شعراء بلاط هارون الرشيد. عُرف بشاعر الخمرة، وله شعر كثير في المجون. توفي في بغداد سنة ١٩٩ هـ.

وليلة اقبَلَتْ في القَصْر سَكرى
ولكن زَيَّن السُّكر الوَقَار
وَقَدْ سَقط الردى عن منكبيها
مِنَ التخميش[1] وانحل الازار
وهز الريح ازْدَافاً ثِقَالاً
وَغُصْناً فيه رُماناً صِغَارُ
كَأَنَّ مواضع التقبِيل فِيهَا
دخان جامد والخد نار
(٧٧و) فقلت لَهَا: 'عديني مِنْك وَعْداً'
فقالت: 'في غد يكن المَزَارُ'.
فلما جئتُ مُنْتَصِباً اجابت:
'كلام الليل يَمْحُوه النَّهَار'.

فقال امير المومنين: «اخزاك الله يابو النواس![2] ا كنت مَعَنَا امْ مُطَّلِع عَلَيْنَا أم أَحَدٌ اخبرك بِمَا وقع لنا في هذا الليل؟». فقال له ابو النواس: «لا وَالله يا امير المومنين! ولكن سَعَادتك صَيَّرْتَ لِي اذراكاً في شِعْرِي!». فوهب لَهُ اربع مائَة دينار ولاصحابِهِ مثلها كرامة لابي نوأس، وانصرف هُوَ والجماعة من عند أَمِير المومِنِينَ فِي غايَة الانشراح. والله تَعَالى اعلم بالصواب.

---

(١) في «العقد الفريد»: «التجميش».
(٢) وقبل هذا كُتب «أمير المؤمنين» ثم شطب. و «يا بو النواس» خطه مختلف يشبه خط الصحفة ١ظ.

حكاية الحجاج مع هند بنت النعمان[1]

حكي ان هند بنت النعمان لما تزوج بها الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق، وكان قبيح المنظر وكانت هند بنت النعمان جميلة الصورة بديعة الجمال والكمال، وكان الحجاج ذات يَوْم منضجع في فراشه اذ راى هند تنظر الى وجهها في المراة، فتعجب من حُسْنِها وجمالها. فانشدت تقول: (٧٧ظ)

وَمَا هند الا مهرة عربيه
سُلالة فَحْلٍ قد تَحَلَّلَهَا بَغْلُ

فإنْ أَنْتَجَتْ مُهْراً كراماً جُدُوده
وَإِنْ انتَجَتْ بَغْلاً فَقَد خانها الفَحْل[2]

---

(١) ورد قسم من هذه الحكاية في كتاب «نوادر الخلفاء»، للإتليدي، طبعة القاهرة، تحقيق أيمن بحيري، ١٩٩٨، ص ص ٨١-٨٣. والحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ) من أشهر قواد بني أمية. وهند بنت النعمان بن بشير الأنصارية، شاعرة فصيحة وأديبة بارزة. كانت فائقة الحسن والجمال. وفي الزركلي أنها توفيت نحو سنة ٧٤ هـ.

(٢) وفي الإتليدي يرد البيت الثاني كما يلي: «فإن ولدت فحلاً فللّه درها / وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل». وفي «وفيات الأعيان»، لابن خَلِّكان، يرد البيت الثاني كالتالي: «فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى/ وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحل». وفي عجز البيت الأول يرد «سليلة أفراسٍ» بدلاً من «سلالة فحلٍ» (تحقيق إحسان عباس، بيروت، د/ت، ج ٣، ص ٩٥).

فلما سَمِعَ الحجاج ذلك الشعر مِنْها اغْتَمَّ غَمّاً شَدِيداً وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِها وهو مغضَباً وَأَرْسَلَ لَهَا صَدَاقَهَا مع احد خَوَاصِّهِ. فَسُرَّت بِذَلِكَ سُرُوراً عَظِيماً وَقَالَتْ لِرَسُولِهِ: «خذ الصداق بشارة الطَّلاق». وكان قَدْر صداقها عشرة الاف دِينَارٍ. فلما علم[1] الحجاج بهذه الفِعْله اغْتَم غَمّاً شديداً. وكان عبد الملك ابن مَرْوَان[2] يُحِبُّها حبا شديداً في حال صِغرِها، فَأَرْسَلَ لها يخطبها فاجَابَتْ بالسَّمع والطَّاعه وقالت: «على شُرُوطٍ، منها أَنْ يكُون الحجاج قايد بزمام ناقتي من داري الى دَارِكَ، وان يلبس لبس الجمَّال وأَنْ يَتَحَزَّم وان يَحْمِل العَصَا على عاتقه وان يمشي حافِياً». فَأَرْسَلَ عبد الملك: «مهما امرتك هند به فافعله». فَأَجَابَ بالسَّمْع والطَّاعة. فلما شرعت في الزفاف وركبت هَوْدَجَهَا وكان الحجاج فعل ما أَمَرَ بِهِ عَبْد الملك، فلما كانوا في اثنآ الطريق طرحت مِنْ هَوْدَجِهَا دينار وقالت له: (٧٨و) «يا جمال ناولني هذا الفِلْس الذي وقع مِنِّي». فقال لها: «وَاللهِ يا سَيِّدَتي ما أَنْظُرُ الا ديناراً». فقالت: «الحَمْدُ لِلّه الَّذِي عَوَّضَنِي بذلك الفلس ديناراً».

قال [الراوي]:

فلما وصلوا الى دار عَبْد المَلِك ابن مَرْوَان خليفة اللهِ، تَلَقُّوها العبيد والخُدَّام وَطَلَعُوا بِهَا إِلَى أَعْلاَ الْقَصْر. فامر عبد الملك باحْضَار السُّمَاط، فحَضَرَ الى مَنْ كان جَالِساً، وَكَان الحجاج مِنَ الَّذين يَلُون أَمِير المؤمنين. فتناول الحجاج قِطْعَة

---

(١) في المخطوط كلمة مطموسة، وما أثبت فمن باب الترجيح.

(٢) الخليفة الأموي الخامس. حكم بين ٦٥ و٨٦ هـ. توفي في دمشق.

لحم واكل مِنْهَا وَنَاوَلَهَا إِلَى أَمِير المُؤْمِنِين، فَاغْتَمَّ غَمّاً شديداً وَهَمَّ ان يضرب عُنُقَه وقال له: «بلغ من قَدْرك أن تُعْطِيَنِي سُوَرك؟». فقال له الحجاج: «وما هو الذي أَتَيْتُكَ به في الهودج الا سُوري؟». ثم انشد الحجاج يَقُول:

وَمَا هند الا مَوْرِداً قَدْ وَرَدْتُهُ
فلا خَيْرَ في الوُرَّاد ان وردوا بَعْدِي

فقال عبد الملك: «لا خير فينا إِن وردنا بَعْدَك يا حجاج!».
فَأَمَرَ لَهَا أَمِير المؤْمِنِين بِوَزْنِ صَدَاقها ورجوعها مِنْ حَيْثُ جَاءَتْ.
فكانت مكيدة الحجاج بها (٧٨ظ) اعظم من مكيدتها بِهِ.

والله تعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب، فانه كريم
وهاب. وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم
والحمد لله
وحده
تم[(١)]

---

(١) وفي وسط الطرف الأيسر من هذه الصفحة يقرأ بخط صغير ومختلف: «عفى الله عن العطوري» ثم كلمة قد تقرأ «سعد» أو «سور» ثم «في يعـ». وفي الصفحة الأولى من الورقة التالية، وهي ٧٩و، يرد كتاب «لوعة الشاكي ودمعة الباكي»، للأديب الشامي صلاح الدين ابن أيبك الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٣ هـ، وهو كتاب معروف قد نشر لأول مرة في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٥١ هـ.

فهرست بالحكايات

هذا الكتاب

حكي والله اعلم في غيبه واحكم فيما مضى وسلف من احاديث الامم السابقة، رحمهم الله، انه كان فِي مدينة زبيد باليَمَن رجل تاجر وكان بالقرب مِنْهُ تاجر آخر مِنْ اكابر التجار وله بنت جميلة مَلِيحة فَرَآهَا ذلك التاجر فهويها وتولع بحبها وزاد به الأَمْر فارْسَل إلى ابيها يخطبها فأبى، فحمل عليه كل مَنْ في ذلك البَلَد فلم يفعل، فدخل على أمير البلد وارماه عليه فلم يفعل ذلك، وكلما زاد فِيها رغبة زاد أبوها فِيه قسْوَة.

